رواية

أنشودة الوحدة

عبد المعز صفوت

دار الرائدية للنشر والتوزيع

ح دار الرائدية للنشر والتوزيع ،١٤٤١هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
بغدادي ، عبد المعز محمد صفوت محمد
أنشودة الوحدة. /عبد المعز محمد صفوت
محمد بغدادي - الخفجي١٤٤١هـ
ص ١٢٤ ؛ ١٤ × ٢١ سم
ردمك ٦-٦٦-٨٢٩٤-٦٠٣-٩٧٨
١- القصص الاجتماعية - مصر
ديوي ٨١٣/٠٨٣٩٦٢ ١٤٤١ / ١١٧٢٧

رقم الايداع : ١٤٤١ / ١١٧٢٧
ردمك ٦-٦٦-٨٢٩٤-٦٠٣-٩٧٨

دار الرائدية للنشر والتوزيع
المملكة العربية السعودية - الخفجي
ت : ٠١٣٧٦٧٥٢٧٢
واتساب : ٠٥٥٠٧٦٧٠٠٠
تويتر والانستغرام : daralraidiah
ايميل : alraidiah@hotmail.com
www.daralraidiah.com
تصميم الغلاف : سارة سعدون

أنشودة الوحدة

جميع شخصيات الرواية شخصيات«افتراضية» وأحداثها أيضًا أحداث «افتراضية» من وحى خيال المؤلف وإن كان هذا لايمنع إمكانية حدوثها في الواقع

إهداء

إلى بحر اللغة وأستاذ الأجيال.....أبى

إلى التي وهبتنى جزءًا من روحها به أحيا ..أمى

إلى التي تعبت معى بحب حتى يخرج هذا العمل

إلى النور..... زوجتى

إلى ثلاث زهرات أستمد من رحيقهن الأمل بناتي

.. سما ..جنى ..نور...

إلى هؤلاء الذين يملكون آمالًا لم يخلقوا لتحقيقها

..الذين لم ينزلقوا بعد ...

أنقياء القلوب ..

إليكم أهدى هذه الرواية

ويروى الليلُ

للطرقاتِ

حكايةَ الحُلمِ الجريحْ

وحبًا ماتَ في مهدٍ

كطفلٍ

صوتُه الشجنُ

صداهُ

يرددُ الشكوى

مع الآهاتِ

تبكى الريحُ

وتذبلُ ذكرياتُ الأمسِ

يمحو

لونَها الزمنُ

عبد المعز صفوت

الفصل الأول

سعادة البيه

القاهرة في يونيه عام ٢٠١٥

يوم حار ..شديد الحرارة.. ربما أكثر من المعتاد في مثل هذه الفترة من كل عام، الشارع الشهير يكاد يخلو من المارة في مشهد بالغ الندرة..كل الناس ذهبوا إلى بيوتهم هربًا من الشمس الملتهبة إلا هذا العامل المسكين الذى تحتم عليه مهنته أن يظل في الشارع، ينتفض بردًا في الشتاء ويتصبب عرقه في الصيف..التفت عامل النظافة ضئيل الجسد نحو الرصيف المقابل ليرى هل ألقى أحدهم بقمامة هنا أم أن منطقته أصبحت نظيفة؟ وكلمة (منطقته) هنا لا تعنى الملكية - كما توحى به فى خيالك - ولكنه مصطلح اعتاد عمال النظافة أن يتداولوه فيما بينهم.. ربما ليزداد شعورهم بأهمية عملهم الذى لا يعرف الناس قيمته فينظرون لهم شذرا رغم أنهم أحرص منهم على النظافة !! الناس يلقون القمامة وهم يرفعونها، ولكنها نظرة المجتمع التي كثيرًا ما تكون مخطئة.. قال لنفسه إنه يوم صعب.. حار.. ثقيل كثير المشاق، مسح الشارع جيئة وذهابًا يلملم أوراق قديمة وعلب عصير فارغة وزجاجات، وأحيانا كان يجد عملات نقدية منها الأجنبي أو حتى عملات مصرية من فئة الخمسين والمائة والمائتين جنيه، ولم يكن بالطبع يجد أقل من ذلك، ولكنه كان -لأمانته - يسأل كل المارة في

الشارع عن ما يجده أو يسأل أحد البوابين الذى تربطه بهم علاقة صداقة، فاذا ما مرت الأيام ولم يجد لها صاحبًا اعتبرها رزقا ساقه الله له حامدًا شاكرًا رغم قلة ذات اليد، ولكنها الأمانة التي اعتاد عليها ورضعها مع لبن أمه تفرض عليه ألا ينظر للحرام أبدًا..هو اليوم مُرهق ينظر لآخر الشارع فلا يستطيع أن يدرك نهايته.. لا لضعف في بصره، ولكن حرارة الشمس على الأسفلت تضع غشاوة على الموجودات أمامه، كما أن هذا الشارع بالذات وهذه المنطقة تعد من أرقى أحياء القاهرة وأكثرها ازدحامًا بالمنشآت الكبرى والمؤسسات الحكومية الهامة، فقد اعتاد أن يرى ذوى البذلات السوداء والسيارات الفارهة يجوبون هذا الشارع باستمرار إلا في هذا اليوم العجيب الذى خلت منه أقدام المارة أو كادت، اعتاد أن كثيرًا منهم يهبط من سيارته ويدخل هذا المبنى الضخم المقابل .. يعتبره هو مبنى (الجرنال) كما يسمع الناس يقولون فهو لم يكن مثقفًا ولم يشترِ جريدة في حياته هو بالكاد يعرف القراءة فأنّى له أن يعرف أن هذا المبنى الضخم، هذا الصرح العملاق هو أحد أكبر دور النشر التي تصدر واحدة من كبرى الصحف في مصر والعالم العربى كله؟ ألقى نظرة مدققة على مبنى الجريدة حيث المكاتب بالدور الثالث, لم تكن نظرته عن فضول أو أدنى اهتمام بالصحافة بل كان يرقب انصراف الموظفين ودخول آخرين للمبنى ليعلم أنها الثالثة عصًرا وأن موعد نهاية ورديته قد حان..

*****

«كل الموظفين مشيوا يابيه»

طرقت العبارة أذنيه بوقع مؤلم، كأنها يد حديدية صلبة انطلقت من فم (عم سعيد) ساعى مكتبه الأصلع العجوز محدب الظهر أشيب الشعر - ماتبقى منه - انتزعته من أفكاره الشاردة بقسوة وضربت به أرض الواقع بألم التذكر ووجع الإحساس .. شيء مضطر أن يفعله وهو لايكره في حياته أكثر من الاضطرار هاهو الآن يبدأ رحلة العودة إلى المنزل ويالها من رحلة!

-هل تلزم أي خدمة يا بيه؟

بارتباك قالها الفراش العجوز الذى اعتاد طوال عمله في الجريدة على تقديم الشاي والقهوة (للبهوات) رؤساء التحرير و(البهوات) رؤساء مجلس الإدارة، كم من قيادات كبيرة مرت عليه طوال عمره الوظيفى الممتد الذى قارب نهايته ! بدلات سوداء وبدلات كحلية، وبدلات بنية وأخرى فاتحة (بيج) كلها أنيقة فخمة غالية الثمن يتحدث أصحابها بعظمة أو بغرور أحيانًا.. بكبرٍ أحيانًا أخرى؛ يذهب (البهوات) ويجيئون ويبقى هو علَى نفس حاله كما هو.. عم سعيد الفراش ..وهنا جاء دور البيه ليقاطعه من شروده النادر:

-لا ياعم سعيد ..تستطيع الانصراف

انطلق الساعى إلى منزله فرحًا بانتهاء يومه، انطلق إلى أسرته.. زوجته وأبنائه، ونظر الجالس على الكرسي في إثره بحسرة

كم تمنى أن يستبقيه..يتحدث معه ..يجادله ..يشرب معه فنجانًا من القهوة، هو لم يعتد التبسط مع أحد وعلاقته به لم تصل لهذه الدرجة من القرب؛ ولكنه مضطر.. إنه

يحتاج لأى أحد يبقيه بعيدًا عن منزله وعن زوجته ..ربما بعيدًا عن نفسه.. ولكن ما باليد حيلة، تشاغل بترتيب الأوراق على مكتبه وتأمل اللافتة المعدنية الموضوعة عليه والتى نقش عليها اسمه بحروف ضخمة (محمود السكرى) ..رئيس التحرير.. ابتسم بسخرية وهو يتأمل اسمه وانعكاس ملامح وجهه الحادة على السطح المعدنى البراق، كان كل شيء فى محمود السكرى حادًا..جسده النحيل ..ذقنه المدببة .. وجهه المستطيل ذو الشارب الرفيع والأنف المدبب ..عيونه العسلية التي تحمل ذكاء لامحدود ممتزج بالشر، وخبث كأنه يستقيه من معين لاينضب، بالإضافة إلى ذكاءه الحاد المشابه لطباعه، كان نحيف الجسد لكنه يحمل قوة هائلة.. طاقة نفسية مختزلة في أعضاءه الدقيقة.. رجل لم يتخط العقد الثالث من عمره بعد يجلس على كرسي رئاسة تحرير واحدة من كبريات الصحف في مصر، كرسي جلس عليه عمالقة الصحافة وهو مازال في هذه السن الصغيرة !.. تذكر كيف وصل لهذا المنصب بعد صراع دام سنوات مع زملاء عمل ومنافسين كُثر، ولكنه استطاع بمهاراته المتعددة أن يكسب كل الجولات ويربح فى النهاية، يربح المنصب ويربح معه زوجة هى بنت رئيس التحرير السابق بجريدته التى يعمل بها، والتي يرأس تحريرها فى الوقت الراهن.. يتذكر كيف بدأ حياته الوظيفية فيها مجرد صحفى تحت التمرين وكيف استغل كل مهاراته وذكاءه فى اصطياد التحقيقات الخطرة من أفواه زملائه حين يسهر معهم على المقهى أو يغرقهم فى سحب الدخان الأزرق رغم أنه لايشرب معهم .. هو حتى لا يدخن..بل إنه لم يتورع

أحيانا عن السرقة..ولكنها سرقة غير واضحة المعالم، حيث يملك ذكاء لغويًا نادرًا فتكفيه جملة واحدة يبنى فوقها هرمًا من الأفكار الفرعية المرتبطة، وهكذا يولد تحقيق مثير وخبر غريب، وحكاية تبدو كالإشاعة ولكنها تحمل فى طياتها تهديدًا لشخص ما بفضح أمره ..وتبدأ الاتصالات وتقديم التنازلات يعقبها المساومات، ويزداد محمود صعودًا ..أم أنه هبوط؟.. لا يعنيه.. هو كان يصعد فى السلم الوظيفى ويهبط فى السلم الإنساني الذى لا يعنيه كثيًرا.. ونظرًا لانتشاره وازدياد نفوذه كان من الطبيعى أن يتولى رئاسة قسم التحقيقات بعد جهد كبير ونشاط مستمر واستخدام كل الأساليب المشروع منها وغير المشروع، ولكنه برغم كل ذلك لم يكف ولم يكتف بما وصل إليه ..كان طموحه متقدًا.. مشتعلًا لا ينطفئ.. ظامئ لا يرتوى، حتى تقلد منصب نائب مدير التحرير فمدير التحرير ولم يبق أمامه على رئاسة التحريرشيء، إنه اقترب ..اقترب جدًا .. يذكر تلك الأيام جيدًا فهولم يكن فى بداية حياته يملك من المال مثلما هو الآن، ولا من الملابس إلا اثنين يبادل بينهما، ويدخر كل جنيه من أجل بناء ثروة تكفل له أن يكون محترمًا بين الناس لأنه - فى داخله - يفتقرذلك الاحترام .

وبينما يتأمل اللافتة النحاسية بين يديه رنّ هاتفه المحمول فنظر باندهاش ..لعلها زوجته، نعم إنها هى! ..ترى لماذا تطلبه الآن؟ لم يعتد منها أن تستبطئه فتسأله عن سبب التأخير ..لعلها تريد أن يبتاع لها شىء فى طريق عودته ..لعلها تريد مالًا.. بيد أنهكها التوتر أمسك هاتفه وبأصبع مجهد ضغط زر الاتصال وبفم ملّ الحديث رد عليها :

-نعم

جاءه صوتها برنة غريبة مرحة على غير عادتها في الآونة الأخيرة:

- محمود لماذا تأخرت؟

رد عليها بحذر متعجب:

- تأخرت ؟! ..لا أنا فى الطريق.. هل تريدين شيئًا؟

بجرعة من الدلال الحنون غريب الوقع هتفت به:

-لا ..ولكن لا تتاخر عندى لك مفاجأة !!

أنهى المحادثة وأغلق مكتبه وانصرف، وفى داخل سيارته الفارهة حلقت مئات من علامات الاستفهام بينما يقطع بسيارته الطرق الطويلة المتشابكة في اتجاه (فيلته) في الزمالك، لماذا تبدو سالى رقيقة فى حديثها؟! لقد اعتاد منها فى الآونة الاخيرة على الاشتعال ..الانفجار.. بركان صاخب لا يهدأ ..يلقى بحمم الغضب فى كل ناحية فتحترق أفدنة شاسعة من غابات السلام النفسي، وتموت أشجار الهدوء.. ترى لماذا هدأ الاعصار فجأة ؟! إن علاقته بسالى تسير على حافة الهوة منذ زمن، وهو يعلم يقينا أنها تكرهه.. نعم يعلم أنها لم تعد تحبه مثلما كانت منذ سنوات في بداية زواجهما قال لنفسه أنها لابد علمت شيئًا - ولو يسيرًا - عن مخازيه وصفقاته المشبوهة.. علمت كيف يدير الجريدة الكبرى .. كيف أصبح الآمر الناهى فيها بعدما ورثها - حرفيا- بعد وفاة أبيها رئيس التحرير السابق ..أصبح محمود السكرى رئيس التحرير الجديد ذا نفوذ يفوق كل أعضاء مجلس الإدارة مجتمعين بعد أن وضعهم جميعًا فى جيبه الصغير.. سيطر عليهم بطرقه الملتوية وراح نفوذه يمتد واسمه يعلو.. ربما علمت أنه يشترى التحقيقات الهامة والأخبار ذات الشأن من جيش الصحفيين السريين الذي يعمل لحسابه حتى من الصحف

الأخرى..ربما سمعت عن الشبكة الكبيرة من الصحفيين التى تعمل بسرية تحت لوائه برغم عمل أعضائها الطبيعى بمجلات وصحف أخرى ..يؤدون أعمالهم في أماكنهم بصورة طبيعية ولكن الأخبار الأقوى تأثيرًا والأكثر خطرًا والأهم للقارئ تبقى من نصيبه ..ولاؤهم له وحده..شبكة اسمها جيش محمود السكرى، جيشه الخاص السرى الذى لايعرف حتى أعضاؤه بعضهم البعض، والذى يحتفظ لكل واحد منهم بملف عنده يستطيع به أن يدمر مستقبله أو يزج به في السجن ..إنه الأقوى دائمًا والذى اعتاد أن يعطى بمقابل سخى مثلما اعتاد على الشراء.. شراء كل شيء وأي شيء.. شراء الذمم وشراء الأخبار، وكل ذلك مقابل المال.. المال الكثير ..ثم يضع عليها اسمه ..نعم لابد أنها سمعت عن كل ذلك أوأكثر لذا فهى تكرهه، وعلاقتها به أصبحت غاية فى التوتروإن كانت فى البدء مختلفة، وعاد بذاكرته لخمس سنوات مضت ..وتذكر كيف بدأ كل شيء ..

*****

القاهرة يناير ٢٠١٠

بنت رئيس التحرير..صفقة جديدة يجب أن يربحها .. أن يستولى على مفاتيح قلبها، فبالإضافة الى أنها فتاة فاتنة تملك جسدًا رشيقا ..قصيرة القامة نوعًا ما ..ذات عيون خضراء وشلال من الذهب المتألق يحتضن وجنتيها بحنان .. بوجه مستدير جميل، علاوة على ذلك فهى كفيلة بنقله إلى خانة العظماء فى أقل من عام ..كفيلة بجعله يدخل عالم الصفوة وقمة المجتمع، يدخل حياة الأستاذ علم الدين

أشهر رئيس تحرير في مصر ورئيسه في العمل.. لم يكن متزوجًا رغم أنه بلغ من العمر ثلاثين عامًا، ولكنه يؤجل مشروع زواجه لا لأسباب مادية، فهو يملك الكثير من الأموال التي جمعها من صفقاته المشبوهة والاتجار بسمعة الناس وابتزازهم، بخلاف الإتجار في الآثار والمخدرات والعملة أيضًا، ولكنه كان يؤجل زواجه لأنه يعتبره صفقة لابد من أن يربحها، ولا يريد زواجًا تقليديا ..يريد أن يقتحم عالم الكبار.. الكبار جدًا.. يتسلق القمة ويسكن ذرى الشهرة الشاهقة الارتفاع، طوال عمره معذب بطموحه، لم يقنع أبدًا بحاله ولعل هذا سر نجاحه .. أو سر فشله.. سر صعوده.. أو سر هبوطه، ولكنه أحس عندما وجد سالى كأنه وجد كنزًا وهو يحفر، رأى لمعان الذهب فازداد جشعه في الذهب واقباله على الحياة ..شهيته مفتوحة لمزيد من الحفر ..لمزيد من لمعان الذهب وحياة الذهب، وسالى تملك شعرًا ذهبيًا لذا شغف بها وأصر على الحصول عليها بأى ثمن، وكعادته كلما واجهته مشكلة أو صفقة جديدة لجأ للتصنيف.. وفى حالته هذه صنفها فى أولوياته فجعل لها الأولوية القصوى ..إذن فلتكن سالى صفقته الأولى وليزح جانبًا أية صفقات أخرى، رآها أكثر من عشر مرات على الأقل.. حفظ ملامحها ..حفظ تفاصيلها .. درس مشيتها ..ضحكتها ..نبرة صوتها، راقبها كلما كانت تزورأباها الأستاذ علم الدين رئيس التحرير فى مكتبه، و عرف أن اسمها سالى وأنها طالبة فى العام الأخير بكلية الإعلام ..تستعد للميراث إذن!.. بنت الأكابر المرفهة المدللة التي لم تر من الدنيا شيئًا سوى الملابس الفاخرة والسيارة الفارهة وتدليل الأبوين تستعد لترث مال أبيها ..ومجد أبيها ..ونجاح أبيها ، ومركزه الاجتماعى

أيضًا.. ولكنه قرر أن يقتحم الصورة، وانفتحت شهيته للطعام الذى يفضله.. للمعلومات، واستخدم كل طرقه الملتوية فى الجامعة وفى كلية الإعلام وفى أوساط الطلبة وأساتذة الجامعة، وفى النادى الذى ترتاده وبين أصدقاءها وصديقاتها حتى عرف عنها ما يريد وما يكفيه من معلومات ، وبدأ الاستعداد للمعركة القادمة ..استدعى جيوشه من كل الأراضي واستدعى قوات الاحتياط ..باختصار.. أعلن حالة الطوارئ لمواجهة هذه الحالة الجديدة وبدأ الحصار

*****

عرف عن سالى أنها مرتبطة عاطفيًا بأحد أساتذتها فى الكلية فلم يبالى ..وما أثر خبر مثل هذا على شخص مثله؟..شخص اعتاد أن يحصل على ما يريد بأى ثمن.. بدأ يجمع معلوماته عن هذا الأخير وعرف عنه أن اسمه (أحمد الصاوي) معيد بقسم الصحافة كلية الإعلام وأنه يكبرها بعامين فقط..مرتبطان منذ عام وتحبه وهو كذلك يحبها ..إذن فلابد أن يهدم هذا الجدار ليعريها تمامًا من كل ما يحيطها كى تصبح له وحده..تبحث عن أى جدار تستند إليه فلاتجد إلا محمود السكري ..علاقتها بالدكتور أحمد تهدد مخططاته.. إذن فلتنته علاقتها به، ما قيمة الحب في عالم تحكمه المادة؟ البقاء للمال.. المجد للذهب ..أما المشاعر التافهة فمكانها النسيان، وبدأ حربه القذرة فى مواجهة عصفورى الحب الصغيرين الذين لا يعلمان شيئًا عما يدبر لهما ذلك الصياد الغادر.

وانطلق محمود السكرى فى أقذر حروبه وأحطّها غاية لتدمير قصة الحب المشتعلة بين سالى والدكتور أحمد الصاوي

عدوه اللدود ومنافسه على الميراث الحلم، إنه -أحمد الصاوى - لايحب سالى بل هو يستخدمها وسيلة لكى يصل إلى أغراضه ويتقرب لوالدها رئيس تحرير الجريدة الشهيرة ليضمن الوظيفة والمجد الشخصى ..هكذا قال محمود لنفسه ربما ليبرر لها حقارة ما يفعله، وكعادته فى حروبه الخاصة أغلق على نفسه فى شقته التى يعيش فيها وحيدًا وبدأ يستشير شياطينه فى اجتماع مغلق، حتى إذا ما ارتسمت الخطة بكل أبعادها فى ذهنه وضعها موضع التنفيذ فورًا.. وقلّب محمود فى دفاتره القديمة وفى هاتفه حتى وجد رقمها ....(أميرة)....

طالبة بالفرقة الرابعة بكلية الإعلام ..نفس فرقة سالى ..نفس دفعتها وبالتاكيد تعرف عنها الكثير، جاءت لجريدته متدربة ولأنه كان حينها نائب مدير التحرير - برغم صغر سنه - وجدت أميرة الفرصة سانحة للتقرب منه والاكتساب من خبرته .. ربما فازت بعريس كذلك بعد علمها أنه غير مرتبط، ولكن ولأن أحلام محمود تتجاوز حدود المستحيل لتلامس آفاق الخيال، لم يكن من الممكن أبدًا أن يلتفت لأميرة طالبة كلية الإعلام - رغم أنها تملك أجمل جسد أنثوى رآه فى حياته- شعرها طويل أسود مسترسل فى نعومة على كتفيها، ذات وجه مستطيل وعيون سود كحيلة، وفم منمنم دائم الابتسام..(غجرية).. وكانت تشع من عينيها ومضات الذكاء الممزوج بالخبث ..مثله تمامًا، فى مثل طوله تقريبًا جريئة لا تملك حدودًا تقف عندها.. أعجبته جرأتها وذكاؤها وانطلاقها، وأعجبه أكثر محاولاتها المستمرة للتقرب منه، وتساءل بينه وبين نفسه هل هو منجذب إليها فعليًا ؟ أم هو مجرد إعجاب ؟ ولكن لأنه اعتاد أن يكون حاسمًا حادًا فى كل ما يخص

مستقبله فقد اتخذ قراره سريعًا ..إنها لا تصلح لأنها لا تناسب طموحه.. ومع الوقت - لأنها ذكية - فهمت أنه يريد منها أن تقترب بدون اقتراب ..حسنًا فلتكتف بالصداقة كحل مؤقت.. تذكر محمود كل ذلك وهو يطلبها على هاتفه المحمول حتى جاءه صوتها ناعسًا فطلب منها أن توافيه بعد قليل بأحد المطاعم التى اعتاد أن يعقد فيها صفقاته الهامة.

*****

ليس لى من هذا العالم نصيب.. كل هذا الجمال وهذه الفتنة.. ورغم ذلك لم أجد عريسًا حتى الآن ! ..أمتلك وجهًا مستطيلًا آية فى الجمال ..كل من يراه يفتن به.. أمتلك قوامًا رائعًا متناسقًا يتمنى أى رجل أن يكون من نصيبه .. الكل يقول هذا، شعرى طويل أسود ناعم، كل مافىّ جميل..أخّاذ ..جذّاب ..ومع ذلك لم أظفر بعريس .. لم تكن لى علاقة حب واحدة؛ فجميع من عرفتهم يريدون العبث فلاتوجد علاقة واحدة جادة.. أسمع عبارات الغزل منذ كنت طفلة ..أميرة أجمل بنات الفصل ..أميرة أجمل بنات المدرسة، كل الفتيات يغرن منى لأنه لاتوجد واحدة منهن تمتلك جاذبيتى ..ومع ذلك لم أحصل على حظى من الحياة .. جمالى هذا لم يصل بى إلى حيث أريد، لم أجد من يؤنسنى حتى اعتدت الوحدة، ومنذ توفيت أمى من عامين ورحل والدى قبلها بعدة سنوات لم يؤنس وحدتى غير أحلامى فقط ..معاش والدى الراحل لايكفى شيئًا إلا بعض المصروفات الضرورية جدًا؛ لذا اضطر للاستغناء عن المصروفات الأخرى التي تعد بالنسبة للذين في مثل ظروفى غير ضرورية .. مصروفات لملابس جديدة تحلم

أى فتاة بارتدائها أعدها رغمًا عنى مصاريف غير ضرورية ليس زهدًا ولكن فقرًا وضيق حال، أعيش في بيئة فقيرة بحى شعبى أكرهه.. أكره أهله الأغبياء الفقراء الذين لاحديث لهم إلا عن الفتيات الجميلات اللائى يعشن بمفردهن.. وما العيب أن أعيش لوحدى وأنا لا أريد من عالمكم المتخلف شيئا؟ من منكم أيها المتحدثون فكر ولو مرة أن يسأل عنى.. ما الذى أحتاج إليه؟ ما الذى تحتاجه فتاة مثلى؟ أى وحدة تعانى وأي خوف ينهش لحمها ليلًا ويسكن العظام؟ لاتجيدون إلا نقد غيركم فقط، وأنا أقول لكم موتوا ..اذهبوا للجحيم فلا يعنينى منكم أحد ولا أبالى بقولكم أو ما تفعلون ..فلتعتبرونى عاركم ..نعم أنا عاركم الذى تجاهدون لمواراته عن الناس كى لا توصمون به.. أنا سُبة في جبينكم الضيق الغبى وتحدٍ لتقاليدكم البالية التي اخترعتموها فقط لتداروا بها عجزكم وفشلكم.. لن ألجأ لأحد منكم فأنا لا أنتمى لهذا المكان ولاعلاقة لى به، ولكنى أنتمى لذاتى فقط وساعيش حيث تريد نفسى.. سأعيش في القمة وسأنظر إليكم في القاع تتناحرون ..تتداولون أقوالكم السخيفة لتلوكونها بلا فهم وتسمونها أعرافًا وتقاليد تتشدقون بها أمام الناس وتكونون أول كافر بها فى الخفاء ..تنتهكونها.. النفاق هو رداءكم الذى تسترون به نفوسكم المريضة.. سأبصق عليكم ..نعم سأبصق عليكم من عليائى وعلى أعرافكم المزيفة وتقاليدكم ولن تستطيعوا أن تصلوا إلىّ لتنتقموا منى سأكون حينها في قمة لن تحلموا بالوصول إليها ..منذ مات والدى ترعانى أمى، ومنذ ماتت أمى أعيش وحيدة أرعى نفسى ..اخترت الدراسة بكلية الإعلام عسى أن أكون شيئا ذا قيمة في مجتمع آخر يناسبنى.. يستطيع أن

يحتوى طموحى، وبالطبع لم أصاحب أحدًا في الكلية لأننى لن أستطيع رد هداياهم.. لن أستطيع أن أعطى أحدًا ما آخذه منه ولن أستطيع مجاراتهم فى نزهاتهم ورحلاتهم.. فى ملابسهم وبذخهم، ولن أستطيع أن أجيب أسئلتهم عنى وعن حياتى ..عن المنطقة التي أسكنها لأننى لن أسمع منهم غير السخرية وإن كانت صامتة، والتعاطف المحفور في ملامحهم ..وهو ما لا أريده.. حاول الكثير منهم أن يتقرب إلىّ ..يغازل محاسنى ببلاهة ويصف جمالى بسخف ..عبارات اعتدتها حتى صدئت .. حروف لغة منقرضة لا أفهمها ..كل منهم يحلم أن يهبط القمر للسكنى معه، ولكن طموحى أكبر منهم جميعًا لذا فلن تحتوينى علاقة حب تافهة مع طالب في مثل سنى أبدًا، ولكى أطيل تواجدى خارج المنزل تقدمت بطلب للتدريب في الجريدة الكبرى؛ كى أقتل وحدتى من ناحية ومن ناحية أخرى اكتسب الخبرة التي تؤهلنى للنجاح في عملى مستقبلًا.. ربما أظفر بعريس من هذا الوسط الذى أحبه ..وسط الإعلام وعالم الفكر والأدب والصحافة.. كم أعشقه وكم أتمنى أن أدخله ..أقتحمه وأتعمق فيه.. أصبح جزءًا منه لينقلنى للمجتمع الذى يليق بى وأليق به..وقبلوا طلبى.. رأيت في عيونهم شغفًا اعتدته، وبانبهار تأملت كل مايحيط بى.. المبنى العملاق الذى سأرتاده يوما كأحد العاملين فيه.. صحفيين كُثر تحت التدريب لاتوجد بينهم أميرة سواى.. لاتوجد أميرة بجمالى .. أعلم ذلك وأحبه ..غير أنى وجدتها هناك.. رأيتها .. تلك المتحزلقة ابنة رئيس التحرير.. الكل يعاملها بتدليل لاتستحقه .. هذه الببغاء صفراء الشعر التي تذكرنى بدمية (بليث) الغبية

مرت من أمامى قاصدة مكتب أبيها.. يعاملونها كملكة فكل طلباتها أوامر، لم تلق علىّ التحية رغم أنى طالبة بكلية الإعلام مثلها وزميلتها في نفس الدفعة وغدًا سأحمل نفس الشهادة ..إن البكالوريوس يا سالى هانم لا توضع به ألقاب .. الكل سواء ولافرق بيننا إذن فكلانا في نفس المستوى، ولكنه غباء المجتمع المنافق اجتماعيًا الذى يعطى المرء قيمة - قد لايستحقها - لمجرد أنه قريب من ذوى السلطة أو ممن هم محيطون بذوى النفوذ..لو كان الأمر بيدى لحطمت أنفها هذه المغرورة .. لسحلتها على بلاط الأرضية الفاخرواعتصرت شعرها ولففته حول يدى فقط لأعلمها ألا تتعالى على أحد وألا تنظر للناس من أعلى.. لأعلمها أننّا جميعا بشر خلقنا من طينة واحدة، لوكان الأمر بيدى لمرغت وجهها في التراب وأنا استمع إلى صرخاتها وأرى كبرياءها المغرور يفقد رونقه.. أرى الذل في عينيها وهى تستجدى الرحمة ممن تعالت عليهم .. الكل يعاملها باحترام زائد فقط لأنها ابنة رئيسهم في العمل ولو أنها مجرد فتاة عادية لبصقوا عليها بلا اهتمام.. كم هي محظوظة هذه الببغاء صفراء الشعر ..هي الدنيا تظلم الموهوبين وتعطى من لايستحق .. ولو تغاضينا عن هذه الصفراء السخيفة سنجد أننا أمام الأسطورة الحية ..هذا الشاب المسيطر.. أية قوة تلك التى تسرى في دمائه فتجعل المرء يخضع له ؟! اسمه محمود السكرى ..مدير التحرير في الجريدة.. مدير تحرير في هذه السن الصغيرة! ..يبدو أنه نجم لامع في عالم الصحافة لأنه وصل لهذا المنصب مبكرًا جدًا ..على أن أكثر ما لفت نظرى نحو محمود هو الطموح الذى يلمع في عينيه نحو غاية عالية هناك خارج حدود الأرض ..غاية هو نفسه لايدرك مداها ..مثلى تمامًا وهو

كذلك غير متزوج أو مرتبط ..لاتوجد دبل في أصابع كفيه ..حاولت أن أقترب منه ..أتحدث معه ..ألفت نظره لي ولكنه كان غريًبا ..غريب في إصراره، وغريب في صلابته ..كل من رآنى ذاب في هواى من أول مرة إلا هو!.. كنت أرى في عينيه شوقًا حبيسًا وضع حوله سياج من نار.. أرى على أطراف شفتيه حديثًا عذبًا يمنعه بكل قوة.. كان يجز عليه بأسنانه كى لاينطلق، إنه معجب بى ..يريدنى ..فلماذا يقاوم؟! اليوم طلبنى بالتليفون وكم سعدت لأنه فعل.. يريد مقابلتى بالخارج.. فهل سينهار سد الصمت ؟

*****

جاءت أميرة مرحة كعادتها تكاد تطير من الفرح وهى تظن أن محمود بدأ يشتاق إليها، أو أنه يريد أن يصارحها بإعجابه.. نعم.. ولو أنه لا يريد ذلك فلماذا طلب لقاءها خارج الجريدة إذن ؟ طوحت بشعرها الأسود فى سعادة وثقة وتطايرت الخصلات على وجهها فأزاحتها فى نعومة باسمة لما رأت الشغف فى عينيه وهو يتأمل خطواتها المتهادية.. كان يتأملها جزءًا جزءًا ثم يعود لينظر لها مرة واحدة، وكأنه يريد أن يسمح لعينيه أن تستوعب كل هذه الفتنة المتجسدة فى هيئة أنثى تدعى (أميرة) ..وكم أحست بالسعادة لذلك.. كم شعرت بالثقة .. كم ازداد تعلقها به وتمنت لو طالت المسافة أكثر حتى يطيل نظرته إليها ويطيل تأمله.. وعلى الطاولة المستديرة جلس محمود يتأمل كل هذه السحر السائر على قدمين من الجمال بابتسامة تبدد الغيوم وتزيل الهموم، وفكر للحظة أن يصارحها بإعجابه بها ولكن وأد الفكرة قبل أن تولد

إن طموحه أقوى ولعقله الصوت الأعلى ..فلما جلست على نفس طاولته صوب إليها من عينيه شعاعًا كاشفًا واقتحم داخلها بوقاحة اعتادها كل من تعامل معه

- أميرة.. أريد أن أطلب منك شيئًا

- أوامرك يا محمود بيه

قالتها بعث صبياني ممتزج بدلال أنثوى ساخر كادت معه أن تنطلق ضحكاتها الماجنة لتملأ أرجاء المطعم الشهير، لولا أن أخرستها نظرات عينيه الصلبة كصفعةٍ على وجهها فسكتت، وحكى لها محمود طبيعة مهمتها الجديدة فى الإيقاع بالمعيد الشاب فى حبائلها وإغراقه بأنوثتها كى تشغله عن سالى تمامًا، وإذا ما استلزم الأمر وفى الوقت المناسب يتحول الأمر إلى فضيحة تصل لمسامع سالى فتنبذه حفاظًا على سمعتها، وتصل لرئيس التحرير فيبنى بذلك سدًا بينه وبين طلب يدها مستقبلا ..كان شيطانًا يتحدث ولم تكن أميرة على استعداد للسماع أكثر.. إذن فهو طلبها فقط لتكون طُعمًا لصيد يريده ..جزءًا من خطة يدبرها.. عربونًا لصفقة يتمها، ألهذه الدرجة لايشعر بها ؟ ألهذه الدرجة يراها لاشئ؟ ألم ير حنينًا في عينيها نحوه؟.. ألم ير على شفتيها بقايا أحرف من كلمة أحبك .. كلمة كادت تنطقها ولكنها لعقتها في آخر لحظة لما رأت من صدوده وابتعاده وتعاليه عليها ؟ ..لم ينس إذن أنه مدير التحرير وأنها مجرد طالبة متدربة ..لم ينس أنه واحد من الكبار ..قريب منهم وينتمى لعالم سالى ..مساعد لأبيها ويريد أن يحل محله ..هي الوحيدة التي يعتبرها خارج هذه الدائرة ولاتنتمى لهذا المجتمع ..لا أمل أن تكون جزءًا منه .. إنه لم يرغب فيها لشخصها ولم يكن معجبًا بها كما أنبأتها غريزتها التى لم تكذب يومًا ..أى حقارة تلك التى

يريدها؟ وقلبه المتحجرالذى لم يستجب لكل فتنتها ..أى قلب هذا ؟ إنه قلب لايشعر، منزوع الإحساس لايستحق حبها .. قلب لايستحقها، فكرت قليلا فى المساومة والرفض فهى لا ترضى لنفسها أن تهان لهذه الدرجة أو تكون قربانًا يقدم على مذبح هذا الصنم الأصفر المسمى سالى.. إنها لن تكون لعبة في معادلة تصفية الحسابات المعقدة بينهم ..ولكنه كان كاسحًا فرضخت ..كان مصرًا فقبلت مستعدة للقيام بدورها فى هذه المسرحية على المسرح القذر متسخ الستار.. ليس فقط لأن محمود طلب أو أمر بذلك ولكن في حقيقة الأمر إرضاءً لرغباتها الشريرة فى كسر قلب سالى التي كرهتها منذ أن وقعت عينيها عليها في الجريدة ..ما الفارق بينها وبين سالى؟ إنها أجمل منها وأكثر جاذبية وذكاءً وفتنة.. إن كل من يراها يقول ذلك , هي فقط لم تحصل على الفرصة المناسبة .. لقد ظلمتها الحياة لأنها ولدت في بيئة شعبية فقيرة لأبوين من قاع المجتمع مات كلاهما ولم تعد تعرف لها من أحد إلا عم لها في الصعيد يريد أن يزوجها ابنه ..ترى أنها الأفضل ومن الممكن أن تصل لأعلى القمم لو كانت ظروفها مختلفة ..لماذا يحيط الناس بهذه الببغاء خاوية العقل المدعوة بسالى؟ حتى اسمها له رنين سمج.. واحدة من الناس لاتملك أى ميزة غير أنها ولدت لتجد أبيها رئيس تحرير ..ولدت لتجد نفسها من أهل القمة.. تتدلل بسخافة وتتحدث بدلال ليس له مايبرره غير مركز أبيها وسطوته

لماذا تنعم سالى بالحب الذى حرمت هى منه؟ ومن يدرى ربما تظفر بالمعيد عريسًا لها كذلك ..أما بالنسبة للفضيحة فلا تعنى لها شيئًا ..إن الفضيحة فى هذه الحالات يقع عبئها على الكبار فقط من أصحاب الياقات البيضاء النظيفة والبذلات السوداء والأحذية اللامعة.. الذين يتحدثون حديثا علميًا مغسولًا بعطر البلاغة، يتفننون فى إظهار ثقافتهم بزرع الألفاظ الإنجليزية فى وسط الحوار وهكذا يكسبون كل الاهتمام.. حتى فضائحهم يستحوذون فيها على انتباه الجميع فلا يتركون لغيرهم أى مساحة لأى شئ ..وهى تعلم ما سيقال إذا انتشرت الحكاية ..ستروى حكاية الأستاذ الجامعى الذى انحرف فى مغامرة عاطفية مع (إحدى) الطالبات ولأنها من الهوام المنتشرين فى شقوق الأرض الخارجين من طينها، المغتسلين برائحة المقاهى المزدحمة فى المناطق الشعبية الأكثر فقرًا فلن يلتفت إليها أحد ولن يذكرها أحد، وسينصب الاهتمام كله على المعيد الشهير أحمد الصاوى وسيصبح حديث الجامعة كلها ولن يمسسها سوء.. وهكذا كانت الصفقة رابحة وبلا خسائر ولأنها تمتاز بذكاء فطرى بدأت وضع خطتها فورًا للفت نظره نحوها.. وبدأت التنفيذ

*****

الفصل الثاني
المفاجأة

توقف محمود السكرى بسيارته أمام منزله وأغلقها ثم فتح الباب فوجد زوجته بانتظاره.. فاتحة زراعيها بحنان الأرض المتعطشة للمطر..احتضنها غير مصدق وعقدت المفاجاة والدهشة لسانه وهو لا يدرى ما وراء تلك المعاملة الناعمة، وهو الذى اعتاد منها مؤخرًا على الشجار والتشاحن لأتفه الأسباب، ولكنه بحذر طبيعى فى شخصيته قرر أن يجاريها ليعرف كل شئ فى حينه ..ومن يدرى؟ ..ربما .. جلس معها على مائدة الطعام وهو يتعجب مرة أخرى لأن الخدم اختفوا فجأة من المنزل وزوجته هى التى أعدت له الغداء بنفسها! .

قالت له سالى وهى تناوله طبق (الشوربة) والتى تعلم كم يحبها:

- ما رأيك فى هذه المفاجأة ؟
- جميلة طبعًا ..ولكن أين الشغالة والسفرجى ؟
- أعطيتهم إجازة وطهوت الطعام من أجلك بيدي
- وماذا عن عملك؟
- أنا في إجازة من المجلة منذ الأسبوع الماضى ...لعلك نسيت

تذكر حينها أنها قالت له شيئًا ما بهذا المعنى فى أحد الأيام ، وتذكر كذلك أنها طلبت العمل بعيدًا عن الجريدة التى يعمل هو بها منذ أن كان والدها رحمه الله رئيسًا للتحرير وقبل زواجهما ..كانت لا تريد أن ينسب نجاحها الى أبيها ثم إلى زوجها ..أرادت أن تبنى نجاحها المهنى فى الصحافة على مجهودها الشخصى وإبداعها فقط لذلك توسط لها أبوها للعمل بأحد المجلات النسائية ذات الصيت

- هل أعجبتك ...(الشوربة)؟

اخترقت شروده بعبارتها فقال بابتسامةٍ مفتعلة:

- سلمت يداكِ

كان ينتظر أن تطالبه بشئ لذا فقد انتظر حتى أنهى طعامه ثم جلس معها يشربان الشاي كما اعتادا كل يوم بعد الغداء فقالت له دون مقدمات:

-هل تعلم من الذى قابلنى بالصدفة فى النادى منذ يومين؟

قال بحذر كعادته:

- من؟

أجابت ببطء وهى تتأمل ردة الفعل على وجهه:

- دكتور أحمد

أصابه الاسم بصدمة لأنه يعلم يقينًا عمن تتحدث ولكنه كان يخاف نتيجة إظهاره معرفته لذا سألها متحققًا وهو يتمنى أن يكذب ظنه ويكون حديثها عن شخص آخر لايعرفه:

- من الدكتور أحمد ؟

قالت بخبث:

- أحمد الصاوى ألا تذكره؟

لا يذكره!.. كيف لا يذكره؟ هل ينس المرء ضحاياه ؟هل ينس السفاح من قتل؟ ولكنه تصنع التجاهل حتى النهاية ليرى ما وراء ذلك الكمين الذى تريد أن تنصبه له لغرض لايعلمه:

-لا أعتقد أننى سمعت اسمًا مشابهًا ولكن لماذا ظننت أنى أعرفه؟

تظاهرت باللامبالاة:

- أبدًا.. كنت أعتقد أنا تحدثنا بشأنه يومًا ما

تظاهر بالتشاغل في تقليب السكر في فنجان الشاي وهو يرسم على وجهه أشد علامات اللامبالاة:

- لا أتذكر

وهنا قررت سالى أن تقتحم حصونه بمدافعها.. اتخذت سياسة الهجوم الخاطف الكاسح وضربت في العمق

- حسنًا.. إن الدكتور إحمد الصاوى كان إستاذى فى الكلية.. كان معيدًا يكبرنى بعامين وكنا يحب كلٌ منا الآخر, ولكننى اكتشفت فجأة أنه على علاقة بطالبة فى نفس الكلية فقطعت علاقتى به تمامًا.. لقد كانت فضيحة مدوِّية كيف لم تسمع بها وأنت الصحفى الشهير؟

لكن سيل قنابلها لم يجد نفعًا مع رجل مثل محمود اعتاد على المعارك من طول خوضها .. اقتحمت منطقته الخاصة ..ملعبه الذى يجيد اللعب به ويفوز دائمًا ..إن محمود أستاذ في فن التخطيط الاستراتيجي بعيد المدى.. أستاذ في فن التجاهل والتظاهر باللامبالاة وامتصاص الصدمات ، كان يعرف كل ما تتحدث عنه ويعيه تمامًا ومع ذلك لم يظهر عليه أى نوع من أنواع المفاجاة أو الاضطراب ..قوة أعصابه الحديدية جعلته يمتص الانفجار في اقل من ثانية وإن كان لايدرى لماذا تذكره الآن بهذه الأشياء ؟ ما الذى استجد لها؟ ما الذى علمته ؟ ولكن حتى هذا التساؤل أغرقه في أعماقه وحول كل انفعاله لغضبة مدوية كمحاولة منه لقلب الطاولة فوق رأسها.. تصنّع الغضب وانتفض واقفًا موجهًا أعلى نبرات صوته إليها:

- عظيم ياهانم.. دكتور جامعى وقصة حب انتهت بالخيانة كل ذلك دون أن أعلم أنا شيئًا.. لماذا لم تذكرى لى هذا الأمر من قبل؟

أخذت فى داخلها تضحك لأسلوبه التمثيلى الفاشل ولكنها قررت المضى للنهاية فقالت فى لطف تجيده:

- لم أشأ أن أثير غيرتك بأمر انتهى تمامًا قبل أن أعرفك

ولم يعد له فى ذهنى أي اثر، ثم إنى واثقة أنى حدثتك عن هذا الأمر يومًا ما.. لعلك نسيت

قال وهو يظن خطئًا أنه انتصر:

-لا أتذكر.. ولكن ما شأن هذا بمقابلتك له منذ يومين؟ هل كان يعرف أنك هناك ..هل تعمد ذلك؟

هويعلم فى داخله أنه يدير الحوار بذكاء بارع لذا فقد اتسعت ابتسامته الداخلية وهى تقول دفاعا عن نفسها:

- أقسم لك أننى لا أعرف شيئًا عنه ولم أكن أعرف أنه فى نفس النادى، وأنى لم أره منذ عرفت حكايته مع تلك الفتاة ..أعتقد كان اسمها أميرة ..بالمناسبة لقد كانت متدربة فى نفس جريدتك

جاء دورها لتبتسم فى نفسها وهو يقول متصنعا الغباء :

- تعمل فى جريدتى.. لا توجد موظفة عندى باسم سميرة هذه

- أميرة.. اسمها أميرة وكانت طالبة متدربة وليست موظفة

- أرجوك ياسالى.. هل تعلمين كم طالب يتدرب فى جريدتى كل عام؟

- أعلم ولكننى ظننت أنك تعرفها

- ومن أين لى أن أعرفها أو أذكرها؟ المهم ما الذى قاله لك الدكتور أحمد هذا ؟

تنهدت تعبًا من مراوغاته:

- لم يقل شيًئا .. فقط سلّم علىّ وعرفت منه أنه تزوج وأنجب وسافر للإمارات ثم عاد منذ عام فقط.

سرح محمود بفكره بعيدًا.. ترى ما وراء تلك المقابلة ولماذا لا يشعر بالارتياح؟ ..لماذا ؟

وظل سؤاله محلقًا بلا جواب، وهطلت فوق رأسه أمطار الأسئلة من كل ناحية ..كيف عرفت سالى كل تلك التفاصيل المريبة؟ ولماذا الآن؟ وكيف عرفت بحكاية أميرة؟ وهل تعرف علاقتها به؟.... هل؟

*****

«دكتور أحمد»

التفت الدكتور أحمد الصاوى لمحدثته ثم التصقت نظرات عينيه بالأرض كانما كان يخشى أن يرفعها ، وهو لا يتصنع ذلك بل إن كل من عرف أحمد الصاوى طالبًا ثم معيدًا عرف عنه دماثة الخلق والحياء الفطرى وحب الخير للآخرين، تشع الطيبة من وجهه الأبيض الممتلئ الحليق وعيناه السوداوين المملوءتين بذكاء ممتزج بالسذاجة فى مزيج عجيب.. بدلال من اعتادت أن تطلب فيلبى طلبها سألته:

- ممكن أسال حضرتك سؤال ؟

أجابها بارتباك صار جزءًا من شخصيته المهذبة المحترمة:

- تفضلى

أخذت نفسًا عميقًا وهى تعد نفسها للكذبة القادمة.. تستعد لتسرد عليه ماحبكه محمود السكرى وتلبسه الرداء الذى حاكه:

- لدى بعض المشكلات التي تمنعى أن اتابع كل المحاضرات بانتظام، أنا أعرف عن حضرتك أنك لا تتأخر عن أى أحد يستنجد بك ومن أجل ذلك فأنا..

كان ينظر فى ساعته باضطراب فقاطعها بحرج:

- كيف يمكننى مساعدتك ؟..

زفرت فى ضيق خفى فهو يتكلم دائمًا دون أن ينظر إليها

مما أورثها شعورًا بالفشل ..شعور بالإهانة لجمالها المتوهج..كيف يجرؤ رجل ألا يركع أمام تلك العينين :
- أنا لا أريد معونة مالية يادكتور، لكننى أريد أن أسالك بعض الأسئلة فى المنهج ولذلك أريد أن ..
بتوتر مرتبك خالطه الكثير من الحرج - وكأنما يخشى أن يراهما أحد ما - عاد يقاطعها مرة أخرى:
-.مفهوم مفهوم.. وافينى في مكتبى غدًا في تمام الخامسة عصرًا ...بعد إذنك
لم تكن تتوقع أكثر من ذلك على أى حال فاكتفت بهذه الخطوة مبدئيًا حتى تستطيع أن تقترب منه أكثر، وأعطاها محمود السكرى مبلغًا من المال اشترت به ملابس جديدة وتأنقت وذهبت إليه فى مكتبه معدّة بعض الأسئلة العامة.. وتحدثت وتحدث إليها.. وتعمدت أن تطيل النظرفى عينيه المسكونة بحنين لشئ لاتعلمه، لاحظ هو نظراتها ولم يأخذها على محمل الجد وإن كانت قد أشعرته ببعض التوتر .. وكم ضحكت فى نفسها لكل هذا الحرج، كانت تستمتع بخجله هذا كأنه شهادة نجاح أنها اقتحمت عالمه المنغلق الطاهر الخجول ولوثته بأنوثتها الطاغية .. نفثت في أرجائه المنكمشة جرأتها ووقاحتها ثم غرست أعلامها على أنقاض حصون حيائه المتهدمة .. اجتاحته باحتلال ناعم ..حاصرته بدعاباتها التي تعمدت أن تكون ذات معان متعددة مستمتعة بهروبه وباحمرار أذنيه وبانزوائه في ركن ضيق من الحلبة في انتظار الضربة القاضية.. وبينما

هما فى حديث إذ سمعا طرقات على الباب ..طرقات أنثوية اشتمت أميرة رائحتها فى جزء من الثانية، وفى الجزء الآخر علمت بذكائها أن صاحبة الطرقات تملك الحق فى الدخول لأن طرقاتها واثقة ..ثم وقبل أن يفتح أحمد فمه كانت تطالع وجهها .. سالى ..أحس الدكتور أحمد أنها طوق إنقاذ له من حصار نظرات إميرة العذبة المعذبة .. تأملت سالى فى وجه أميرة بنظرة فاحصة.. نظرة أنثى لأنثى ..نظرة جعلت أميرة ترفع أنفها باعتداد وتنظر إليها بتحدٍ وثقة فهى تعلم أنها الأجمل، إن سالى لن تنتصرعليها في هذا المجال أبدًا لأن الأنوثة ملعبها وخاسر من يتحداها فيه، أما سالى فكانت تريد أن تقيس أبعادها ..صوبت نظراتها من الأعلى للأسفل ثم ابتسمت ابتسامة لا حياة فيها معتذرة للدكتور أحمد أنها ستنتظر فى الخارج، ولكنه كاد يثب من مقعده ويتشبث بها طالبًا منها الانتظار.. ونظرة جانبية لأميرة تحمل معنى الطرد ..وبرغم الإهانة ابتسمت فى وقاحة معلنة الرحيل ...والعودة مرة أخرى.

*****

عرفت قدما أميرة طريقها إلى مكتب الدكتور أحمد الصاوى، وإلى هنا لم يكن هناك ما يريب ..طالبة تسال أستاذها ..علاقة بريئة.. وبعد كل لقاء كانت تسرع للقاء محمود السكرى وتحكى له بالتفصيل عن كل مادار في لقائها بالدكتور أحمد تحكى كل ما قيل ..كلماته لها ..نظراته نحوها ..كل شئ.. وخاصة رد فعل تلك الزيارات على سالى، وكانت تحكى له فيسألها عن كل التفاصيل ويهتم بدقائق الأمور وما يقال بين السطور، وماتحمله كل كلمة من معان ثم يجعلها تسترسل فإذا

انتهت من حديثها منحها مبلغًا من المال يجعل روحها فى السماء، ولأول مرة منذ سنوات تعرف الملابس الجديدة طريق دولابها.. هذا الدولاب الذى مرت عليه أيام طوال أحيانًا أشهر وربما أعوام لم تدخله ملابس جديدة لأنها لاتستطيع الشراء فهى لاتملك المال.. لم يكن لديها أب غنى ينفق عليها ولا أم ثرية تعطيها ماتطلب، اكتفت طوال عمرها بالنظر من بعيد لما ترتديه الفتيات ثم تعود لتغرق وسادتها بدموعها ليلًا ..ولكن بعد ماعرفت محمود.. وأموال محمود عرفت معه معنى أن تكون أنيقة فيتوهج جمالها الذى كاد الفقر يطفئه .. تعرف منذ صغرها أنها رائعة الجمال ولكنها - ولأول مرة - تعرف كم هي فاتنة ولأول مرة أيضا تعرف كم هى حقيرة رخيصة، ولأول مرة منذ عرفته تقترب أميرة من محمود لهذه الدرجة ..تكشف عن مكنونات نفسه وتزيل القشرة التى يغطى بها ذاته ..تسمعه وهويتحدث عن نفسه ..عرفت منه أنه نشأ فى بيئة شعبية شبيهة ببيئتها تمامًا.. عائلته فقيرة مثلها تمامًا.. ابن الاحياء الشعبية الذى فقد والده واضطر للعمل منذ صغره كى يلتحق بإحدى الكليات ذات الشأن ليصنع لنفسه مكانة فى المجتمع الذى ينقم عليه ويحقد على من فيه جميعًا.. مثلها تماما.. كم يشبهها!.. ولعل هذا ما كان يشدها إليه لولا أنها كلما اقتربت منه اصطدمت بالسلك الشائك الذى وضعه حدًا بينهما .. ولكنها لم تيأس.. كانت تستمتع بقربه وهذا يكفى

إنها تنفذ ما يطلبه منها بكل ماتملك ..طلب منها التقرب للدكتور أحمد ففعلت، وطلب منها أن تحاصره ففعلت.. وهى مستعدة أن تفعل كل ما يطلبه منها مادام يجعلها قريبة منه وينفذ رغباتها في إذلال سالى.

*****

سارت سالى بمحاذاة سور الجامعة وهى تشعر بغضب مكتوم يخنقها بعبرات ترفض أن تنطلق من عينيها، ولو انطلقت لأراحتها من هذا الحزن العميق الذى حفرملامحها بسكين، إنها لاتدرى ماذا تفعل وكيف تتصرف في هذه المشكلة العميقة التي تهدد علاقتها بالدكتور أحمد ؟ ..اعتادت أن تجعل أباها يفعل كل شئ بالنيابة عنها ..خاصة بعد أن توفيت أمها منذ خمسة أعوام ورفض أبوها أن يتزوج مرة أخرى ليقوم بدور الأب والأم بالنسبة لها.. اعتادت أن تكون الطفلة المدللة.. ولم لا؟ فهى فتاة وحيدة بلا إخوة مما أورثها - برغم التدليل - شعورًابالوحدة خلقت مساحات هائلة خالية في نفسها لم تجد من يملأها ..أبوها الأستاذ علم الدين، يرأس تحرير جريدة من أكبر الصحف شهرة في العالم العربى ولذلك فانشغاله عنها مريعًا ومهمات منصبه تحتم عليه الابتعاد ..بخلاف هاتفه الذى لا يكف عن الرنين ليلًا ولانهارًا ..يحمل على كاهله أعباء لايتحملها إنسان فقط ليوفر لها كل ماتحتاجه ..ينجح من أجلها ويسهر الليالى الطوال من أجلها ..يتحمل ألم الوحدة بلا زوجة وتمتصه متاعب العمل والإرهاق الشديد والمسئوليات الجسام من أجلها ..كم تحبه ..وهذا ما جعلها تختار كلية الإعلام حبًا في أبيها ورغبة في أن تصبح مثله.. الناس يعتقدون أنها تريد الاعتماد عليه في حياتها القادمة وهم في ذلك مخطئون ..الكل يعاملها باعتبارها سالى علم الدين بنت رئيس التحرير الشهيرولا أحد يعاملها لشخصها هي ..وكان هذا مايزيد إحساساها بعدم الثقة ويفقدها شعور الأمان؛ فتنطوى على ذاتها حزينة كئيبة .. وحيدة لاتجد ما تشغل به نفسها

ألا الخروج للنادى مع أصدقائها - القلائل - والتنزه معهم ..وبرغم هذا مازالت تشعر بالوحدة.. أحيانًا تجلس في مكتبة الكلية لقراءة الروايات التى تعشقها، تتقمص شخصية كل أبطال الرواية وتعيش حياتهم ..ترتدى ملابسهم وتأكل معهم على موائدهم ثم ترى بعيونهم وتشم بأنوفهم ..تفرح معهم وتبكى من أجلهم، تحب ما يحبونه وتبغض بقلوبهم وتعشق مثلهم .. تعيش في الرواية بكل أحاسيسها ربما حبًا في الأدب وربما هربًا من حياتها لحياة أخرى مليئة بالزخم الذى تفتقده ..على أنها لم تجد من يتفهمها إلا الدكتور أحمد المعيد بكلية الإعلام .. أستاذها الذى يكبرها بعامين فقط .. تذكرت بداية معرفتها به عندما احتدت عليه في إحدى محاضراته حينما رفض أن يسمح لها بالدخول إلى المدرج بعده.. قالت لنفسها ربما لا يعرف من أنا.. وأخبرته فلم يحفل بما قالت !..تتذكر كلماته لها حينما طلب منها الالتزام مثل باقى زملائها بصوته الهادئ الحنون ولهجته المهذبة المرتبكة:

- إن كنت حقًا ابنة رئيس التحرير - كما تقولين - فهذا أوجب عليك أن تلتزمى وتكونى قدوة لغيرك

هكذا أحرجها أمام زملائها.. هكذا لم يسمح لها بالدخول فانطلقت كالعاصفة تخترق الشوارع قاصدة مكتب أبيها.. لم تحاول الاتصال به في التليفون بل قررت أن تحكى له ماحدث مباشرة، وحكت لأبيها بكلمات اختلطت بدموعها ما كان من الأستاذ الذى مازال بعد معيدًا وكيف تحداها أمام الطلاب، ومن هنا كانت بداية التعارف بينهما بعد أن اعتذر لها الدكتور أحمد أمام الطلاب .. ونشأت علاقة حب بريئة

بينهما حيث يجتمعان سويًا في مكتبة الكلية حينا وفى مكتبه حينًا آخرأوفى (كازينو) على النيل أحيانًا أخرى.. ولم يصرح لها الدكتور أحمد بحبه إلا بعد تعدد لقاءاتهما بسبعة أشهر تقريبا !! ..أكبر مشكلة قابلتها معه خجله الشديد وارتباكه، تشعر أحيانًا أن بداخله سيل من المشاعرالمتدفقة.. تسمع صوت هديره خلف صخرة الخجل التي تسد مسالك روحه ..يريدها.. يريد أن يبوح لها بالكثير ويفعل الأكثر ولكن لايظهر ذلك إلا كلمح في مرآة عينيه السوداء اللامعة ..كم حكى لها - دون أن يتكلم - مايعتمل فى قلبه.. يكفيها أن تنظر في عينيه فقط لتفهم مايريد وإن كانت - بالطبع - تتوق للسماع..أشعرها الدكتورأحمد بكينونتها التي بحثت عنها طويلًا في متاهات الوحدة فلم تجدها، أحست معه أنها إنسانة أخرى وتفهمت خجله فقررت ألا تقاومه ولا تقومه ..فقط ستتركه كما هو ..حرًا في بساطته ..عفويًا في انفعالاته.. ولتستمتع بطفولته المحببة، ولم تخف عن أبيها شيئًا فهو يعلم بعلاقة الحب التي تربطها بالدكتور أحمد ويعلم أنهما متفقان على إعلان الخطبة بعد تخرجها ..ولم يمانع أبوها فقد وجده شابًا محترمًا ذا خلق وأدب وعلم غزير ولما لمسه من حب ابنته له وتعلقها به.. سارت بهما الأيام بلطف يتنسمان عبير الأحلام سويًا ويخططان لمستقبلهما معًا.. هو يريد أن ينطلق في سلك التدريس بالجامعة حتى يتبوأ رئاسة القسم وهى تريد العمل في الصحافة بعد تخرجها حتى تمتلك جريدتها الخاصة ..أحلام بعبق الزهور وعلاقة مثالية كبحيرة هادئة لايعكر سطحها شئ، ولكنها بدأت تلاحظ من فترة أن هناك أخرى.. فتاة منطلقة بلاتوقف تشع الجراة من عينيها

الوقحتين ..لم تشعر نحوها بالارتياح أبدًا، تشعر أنها تتحداها وتعتقد أنها رأتها قبل ذلك ولكنها لا تتذكر أين؟.. تلاحظ أن الدخيلة الجديدة تحاول جاهدة أن تلتصق به أطول فترة ممكنة.. وهو - بخجله الطبيعى - لم يستطع صدها ..أقنعت نفسها في البداية أنها مجرد طالبة عابثة تريد أن تسال عن شيء ما وأن ماتحس به شيء من الغيرة في غير محلها إذ لامجال للمقارنة بين سالى علم الدين سليلة الأسر الراقية وبين هذه التي لاتملك من الدنيا سوى جسد جميل تتباهى به, ولمحة من حسن تتخذها بضاعة تتاجر بها.. كادت تغض الطرف عن هذه العلاقة وتعتبرها مجرد لمحة عابرة لأنها تثق أنها قلب أحمد ورئته وعيناه التي يرى بها.. تعلم أنه يحبها ولن يلتفت لأخرى مهما كانت المغريات، لولا أنها سمعت من الطلاب بدايات أحاديث متناثرة هنا وهناك ..الأمر خطير إذن! ..فالنسمة العابرة توشك أن تتحول إلى ريح عاصفة تهد بنيانهما من أساسه، وقررت في وسط شجونها الثائرة وهى تمشى بمحاذاة سور الجامعة وتدور للمرة الخامسة بلا هدف.. قررت أن تواجهه بالحقيقة دفاعًا عن حبها، قررت أن تصدم خجله وتردده في مقتل ..أن تقتحم ارتباكه في أقوى حصونه لتجعله يتخذ قرارًا تعلم علم اليقين باستحالة اتخاذه بغير معجزة.. معركة شرسة في انتظارها ولابد أن تنتصر فيها لكى تحافظ على علاقتها بالدكتور أحمد.. وهكذا بعزم عنيد قصدت مكتبه وطرقت بابه ثم دخلت غاضبة نافرة محمرة الوجه احتقنت عيناها من أثر دمع حبيس.. وصارحته بغضبها من علاقته بهذه الفتاة التي تزوره في مكتبه كل يوم بلا سبب وبلا مبرر منطقى

مصرة على اللصوق به بلاداعى فقالت والعبرات تخنقها:
- عجبًا.. أنا لا أرى (الهانم) فاتنة الحى ألم تأت بعد؟!!
وحاول بهدوءه الرزين إفهامها أنها مجرد طالبة والأمر لايستحق منها كل هذا الغضب البادى على وجهها؛ فثارت ثائرتها وهى تواجهه بحقيقة لايعرفها ولم يسمع بها بسبب انغلاقه الطبيعى على نفسه وعدم اختلاطه بمجتمع الطلبة ولاحتى زملاءه بالكلية ..قالت في ثورة:
- لكن عندما يتحدث الطلاب فالأمر يستحق
أصابته الصدمة في مقتل ..إنه يحرص طوال عمره على سمعته نظيفة.. يُشهد له بحسن السير وهذه أول مرة يتعرض فيها للأقاويل والشائعات ..فقال لها وقد قفد هدوءه وبدأ الغضب يعرف طريقه إلي صوته :
- أى طلاب يتحدثون؟
ردت وفى عينيها نظرة تحدٍ متجاوبة مع نبرة الغضب في صوتها مختلطة بدموعها:
- الجميع يتحدثون ..إنك لاتعلم ما يقال
وبغضبه المكتوم الهادئ المنذر بعاصفة لايُعلم مداها أجابها:
- ولا يعنينى أن أعلم
استفزها هدوءه فقررت الهجوم في العمق وترك المرواغات:
- لماذا اختارتك أنت ؟
قال بهدوء أكثر محاولًا تجنب غضبها ..متجنبًا حقل الألغام المتناثرة في هذا الموضوع ..محاولًا أن يجد لغة للحوار لاتفقده مبادئه ومايؤمن به، ولاتغضب سالى في نفس اللحظة.. كان الاختيار صعبًا فرد بلباقة:
- إنها حالة إنسانية لا أكثر

حدقت في عينيه مباشرة وقررت أن تواجهه في العمق أكثر بقوة وتركيز.. ناظرة في عينيه اللتان تفضحانه دومًا و لاتجيدان مداراة أى شيء :

- أحمد.. ألم أطلب لقاءك بالأمس لماذا لم تأتِ؟

قال كما توقعت بالضبط:

-كنت متعبًا

وإلى هنا كانت وصلت خط المنطقة المحرمة، فإما أن تحرز هدفًا أو تضيع الهجمة للأبد؛ لذا أطلقت آخر قذائفها:

- أم انك كنت معها؟ لقد اكتفيت بها أليس كذلك؟ ..لم تعد تحبنى، لم تهتم بلقائي فى نفس الكازينو كالأيام السابقة.. غرقت فى بحر فتنتها وبهرتك أنوثتها ..انزلقت معها إلى .....

وهنا انفجر الدكتور أحمد - وربما لأول مرة في حياته بغضب شديد:

- سالى.. هذا يكفى ولا تنسي أنك فى مكتبى

ردت من بين دموعها وهى تلملم حقيبتها من على مكتبه وتتجه نحو الباب باندفاع:

- نعم يجب ألا أنسي نفسي ...شكرًا يادكتور!

حاول أن يبقيها.. أن يطيل أمد الحوار.. أن يفعل شيًئا ..ناداها يائسًا:

- سالى انتظرى ..

ولكنها رحلت..

وانتهت المباراة بالتعادل

******

لم تعد علاقة الدكتور أحمد بسالى مثلما كانت من قبل برغم أنه لقيها أكثر من مرة وأقسم لها أنه لايحب غيرها ..وتشابكت أناملهما في عناقها عندما يتنزهان سويًا وهو يؤكد لها أن عينيها الخضراوين هما واحتان يستظل بهما فى صحراء الحياة القاحلة.. أنه لم يحب سواها و لن ترى عيناه أخرى أيا كان الوضع ومهما كانت المغريات..و شردت فى عينيه الطيبتين الوادعتين ..كم تحب طيبتهما وبراءتهما الساذجة.. كم تصدقهما وتصدقه ..عندما تنظر في عينيه ترى نفسها من شدة الصفاء ..ترى أحلامها في نقاء عينيه الشبيهة ببحيرة سوداء لامعة من الزئبق.. وأسعدها حديثه وأشعرها انها انتصرت في معركتها على هذه الغجرية.. نعم غجرية.. على قدر (يسير) من الجمال وقدر لامحدود من الجرأة والوقاحة ..غير أن تصرفه نحو أميرة وموقفه منها كان يقف عائقًا بينهما.. حاجز يمنعها من العودة إليه ..تستمتع معه بلحظات الصفو التي تعطر أجواءها بنشوة الحب ولكنها ام تعتد أن تقبل بأنصاف الحلول, فقررت أن تلقى بحجر فى البحيرة الصافية، أوهي قنبلة أعادت الضجيج مرة أخرى.. استدارت تواجهه وألقت قذيفتها:

- لو كنت تحبنى حقًا اقطع علاقتك بهذه الفتاة تمامًا واطردها من مكتبك

رد بهدوء شديد وبلهجة وضع فيها أكبر قدرمن الدبلوماسية ضاغطًا على أعصابه بكل مايملك من قوة:

- ولكنك تعلمين أنها حالة إنسانية ليس إلا.. وأنا لم أعتد أبدًا أن أطرد من استنجد بى أو طلب معونتى..لا أستطيع أن أفعل شيئًا كهذا

انهمر المطر في أعماقها وهى تفقد في لحظات كل الأراضي

التي استعادتها في حربها الأخيرة مع الغجرية:
- أرأيت ؟.. إنك لاتستطيع الاستغناء عنها ..ألم أقل لك؟
بنفاد صبر امتزج بالضيق من كل مايحدث وعدم الرغبة في تذكره أو حتى الحديث عنه ناداها :
- سالى ..انتظرى.. سأشرح لك.
ولكنها كانت كالعادة رحلت
*****

عدل الدكتور أحمد من وضع رابطة عنقه وهو يتأمل وجهه في المرآة قبل أن يغادر منزله قاصدًا الكلية، تذكر اضطراب علاقته بسالى وكيف يحاول أن يجد مخرجًا من كل هذا فلا يستطيع.. إنها مشكلته المزمنة منذ أن كان طفلًا، والده رحمة الله عليه كان موظفًا في وزارة الرى.. رجل بسيط من الممكن أن تلقاه في أى مكان، يحمل وجهه طيبة آلاف المصريين الذين يقفون في طابور طويل أمام المخبز، والذين يقفون في نفس الطوابير أمام السجل المدنى والذين يقفون في ذات الطوابير أمام مكاتب صرف التموين والجمعيات الغذائية.. رجل بسيط في حياته وأفكاره ..تزوج مرة واحدة وأنجب طفلًا واحدًا هو أحمد ثم نشبت الخلافات بينه وبين زوجته الجميلة الطموح (أم أحمد) لأنها لاتطيق حياتها التي تسير ببطء السلاحف ..بهدوء دقات الساعة ..هي تريد إعصارًا ينتشلها من هذه الرتابة ، وتريد أن تنطلق إلى المجتمع الراقى.. الراقى جدًا ..القوى جدًا .. الثرى جدًا.. إنها ببساطة تريد أن تحيا جدًا !!
تمتلك المال والشهرة والنفوذ والكثير ، وصارحت زوجها

- موظف الرى - بما تحلم فلم يملك لها جوابًا لأن ظروفه أقل من المحدودة بأمتار تحت الأرض ..ظروف سالبة - إن جاز هذا التعبير - ولكنها لاتستوعب، ثم لاتصدق أنها ربطت حياتها الثمينة مع شخص مثله و دفنت جمالها الطاغى في هذه البركة من البؤس ..ولما تحولت الحياة إلى حرب تركته فتركها ..طلقها لترحل عن عالمه تمامًا وتتزوج آخر بل وتسافر إلى إحدى دول الخارج حيث المال الذى تعشقه، وانكب الموظف الصغير الكبير.. الصغير وظيفيًا الكبيرعمريًا ..انكب على نفسه وابنه يحاول أن يقوم معه بدور مزدوج .. دور الأب والأم وأنّى له هذا مع هذا الطفل الذى لايعرف من الدنيا شيئًا ؟!.. تماسك جبل الصبر طويلًا يصارع تيارات الحزن وأمواج الظروف القاهرة ، يتحدى رياح الفقر والبؤس وسحب المرارة لطفل تيتم وأمه على قيد الحياة.. تماسك حتى أنهى أحمد دراسته الجامعية فقط ليطمئن عليه أنه أصبح رجلًا يجيد الاعتماد على نفسه قبل أن ينهار الجبل.. ويموت ..ويحس أحمد باليتم الثانى حيث كان يتمه الأول يوم تركته أمه من أجل المال ولم يعرف لها طريقًا، على أن أبيه له - بعد الله - الفضل الأول في بناء شخصيته القويمة بما زرعه في نفسه من حب الخير والشهامة ومساعدة الآخرين، علمه كل القيم الإنسانية النبيلة والأخلاق الفاضلة التي تجعله محبوبًا من الله ومن الناس ..أن يترفع عن الدنايا ولايتكالب على الدنيا.. علمه أن يكون إنسانًا، وازداد إحساسه بالوحدة وزاد ارتباكه وخجله بعدما شعر أنه يعيش في بيت بلاسقف ..أن نجوم السماء تراه مع الطيور المحلقة.. أنه بلا غطاء بعد رحيل أبيه ومن قبله أمه، وتقاذفته الأيام ببطء حينًا وسرعة حينًا آخر وهو متدثر

بخجله ملتحف باضطرابه حتى لقيها ..سالى.. تلميذته التى لم يلحظ وجودها إلا عندما منعها من الدخول بعده حفاظًا على انتظام وانضباط عرفا عنه وترسيخًا لمبدأ المساواة الذى توطن في نفسه مقدسًا لايجب المساس به.. حتى عندما عرف أنها كريمة الأستاذ علم الدين رئيس التحرير الأشهرلم يهزم ذلك مبادئه.. هكذا علمه أبوه.. يذكر يومها كيف كانت تتحدث بانطلاق يفتقد إليه، شعرها الذهبى يتطاير حول وجهها الجميل مع التفاتاتها الغاضبة.. عيناها الخضراوان تلتمعان في تحد أحبه.. فتاة اعتادت أن تحصل على كل ماتريد بالصراخ والبكاء.. تمامًا كالأطفال.. فلما لمست إصراره على موقفه رحلت وشعر لوهلة أنه قسا عليها، وبعد انتهاء المحاضرة تبادل الطلاب حكاية الدكتور والطالبة المدللة سليلة العائلات الراقية ..يومها تلقى اتصالًا هاتفيًا من والدها لتسوية الأمر واعتذار سالى له واعتذاره لها، ثم بداية قصة الحب التي عصفت بوحدته وأدخلته عالم المشاعر الدافئة من بوابة الجنة الخضراء في عينيها، وربما كان أول ماربط بينهما - بخلاف شعور الوحدة المشترك - أن كليهما عانى الفقد.. هي ماتت أمها وهو تركته أمه صغيرًا وتزوجت هي رباها أبوها في الفترة الأخيرة وكذلك هو.. علاقة رائعة جمعت بينهما لم ينغصها شيء إلا الخلاف الأخير بينهما بسبب أميرة.. الفتاة المنطلقة الجريئة التى تقتحم حصونه بلا استئذان، جسدها شعلة نارية محرقة ولكنه ليس كباقى الفراشات .. صحيح أنه يعترف - بينه وبين نفسه - أنها جميلة شهية ولكنها لم تخلق له.. ليست على مقاسه.. ليست مشروبه المفضل ..إنه لايحب سوى سالى

ولن يرضى عنها بديلًا، ولكن ماذا يفعل مع أميرة ؟ بل ماذا يفعل مع خجله المرضى ؟ إن شهامته تأبى عليه أن يطردها من حياته وهى التي استنجدت به واحتاجت إليه وما كان أحمد الصاوى ليصم أذنيه عن نداء فتاة فقيرة تطلب مساعدته.. ثم أنها لم تخطئ.. صحيح أنها جريئة النظرات وذات عيون وقحة وتتعمد إلقاء العبارات الملتفة متعددة المعانى التي تصيبه بالحرج ولكن ربما كانت هذه طبيعتها فماذا يفعل؟ .. وفى طريقه للجامعة اتخذ قراره حفاظًا على سالى ..قرار رآه الأنسب في المرحلة الحالية...قرر أن يحاول - بقدر الإمكان - أن يتجنب المكوث فى مكتبه فى الأيام المقبلة حتى لايعطى لأميرة الفرصة أن تأتى إليه فى مكتبه من ناحية ومن ناحية أخرى يتوقف الطلاب عن همساتهم الخفية وتهدأ ثائرة سالى ..وبالفعل بدأت علاقته بسالى تهدأ ولم يعد يرى أميرة، كما أن الطلاب كفوا عن همساتهم الخبيثة المعلنة ..أما في السر فشئ لايعلمه، وتعددت لقاءاته مع سالى بعد أن ينهى محاضراته وتنهى هي كذلك محاضراتها ..وابتعدا عن الأجواء المشحونة بالقيل والقال في أروقة الكلية، ابتعدا إلى حيث جزيرتهما الهادئة التي اعتادا الرسو فوقها إذا ما أضناهما الإبحار أو جرفهما التيار.. إلى حيث الكازينو الذى يأخذهما معه في دنيا العزلة الحالمة حيث يرمون همومهم في الماء فتذوب ..ترمى بها الأمواج للناحية الأخرى، وعلى أنغام موسيقى هادئة وهما يرتشفان عصير البرتقال همس لها أنه يحبها كما لم يفعل في عمره كله.. يراها مثلما لايرى أنثى أخرى.. ينتمى إليها مثلما لم ينتم لأى أحد، وجاوبته بسمة خضراء مفعمة بالأمل من عينيها الصغيرتين

وتركت كفها ينام مطمئنا بين راحتيه، شعرت بالأمان ..ولو قال لها لنذهب لكى نحارب العالم كله الآن لما اهتز كفها لحظة ..إنه الأمان والثقة الذين يولدهما في أعماقها فيكبران ويصيران أشجارًا من العناية تلتف أغصانها وتتفرع فتصير غابات شاسعة من الدفء الذى يتحدى كل ثلوج العالم وبرد الكون ..أنّى لأميرة أو غير أميرة أن يلمس هذا القلب الأبيض الذى ربّته طفلا وليدًا؟ .. تعهدته بحنانها حتى صاررجلًا لايضحك إلا لها.. لايبكى إلا حزنًا من أجلها.. قلبًا ترك كل مرافئ الدنيا ليرسو بجزيرتها ،لايرتاح إلاعليها ولايلقى بهمومه إلا فوقها.. إنه لها وحدها.. همست من بين شفتين شبه مغلقتين .. هل تحبنى؟

فأجابت عيناه دون أن يفتح فمه.. هل تسألين؟.. أنت لى منذ لحظة الميلاد... بل أنت لى من قبل أن أولد.. حلمت بدفء يديك منذ ارتعشت كفى في ليالى الشتاء الباردة وأنا بعد صغير، وانتبهت لك حواسى منذ أن رأيتك علمت أنك هي، وأن مشاعرنا تلك هي الحب الذى يبحث عنه الناس طوال عمرهم ..قد يجده البعض فيمسك به مثلما يمسك بفراشة تحوم حوله ..البعض يرى الفراشات تحوم فيتركها تحوم طويلًا حتى تمل وترحل، فيقرر حينئذ أن يجرى خلفها ولكنها لاتعود أبدًا ولايستطيع الإمساك بها فيعيش حياته كلها وهو يجرى فى إثرها حتى يدركه اليأس فيتوقف ..ثم يحيا ما تبقى من عمره نادمًا عليها.. أما الفريق الثالث فيعيش حياته بطولها يبحث عن الحب ولا يجده ..يبدو له كحلم غامض كلما تمناه لا يأتى.. أبدًا ...استمعت إليه بعينيها.. سمعت ماقالته عيناه

قرأته أولًا ثم سمعته ، فهى تقرأ ما تريد في عينيه كأنهما كتاب مفتوح شديد الوضوح ..وحلقت فى الأفق سحابة من الشوق أمطرت فوقهما زخات منعشة من الأحلام أنبت فى روضهما أشجارًا من السعادة فى دنيا لاتحتوى أحدًا غيرهما.. لا أميرة ولاطلاب يتحدثون ولا حتى محمود السكرى ..عدوهما الخفى الذى لايعرفانه ولايعلمان عن تدبيره شيئًا.. دنيا وردية اللون عطرية الرائحة حريرية الملمس.. دنيا من الحب.

*****

الفصل الثالث

صياد وفخ ومحاولة أخرى

تململ محمود فى جلسته وهو يفكر بعمق وتركيز شديد مستلقيا فوق (كنبة) عتيقة الطراز تتوسط شقته التي يحيا بها وحيدًا بأحد المناطق الشعبية الأكثر فقرًا في مصر.. الجدران المتآكلة في أعلاها والسقف الذى ضربه التشقق وبقع الماء ..شقة قديمة متهالكة هي آخر ميراثه من أبيه الذى عاش حياته تاجرًا فاشلًا لايجيد إلا الخسارة، لم يدع موبقًا لم يقترفه و لم يدع أنثى منحرفة في المنطقة لم يلوث سمعته معها، صاحب أسوأ سيرة في الحى كله.. توفيت أمه وكان طالبًا في الثانوية العامة ولم تكن أمه تحبه ..يذكر ذلك جيدًا، إنها لم تكن تحبه وكانت تفضل أخاه الأكبر عليه، أخوه راضى الذى سافر الى العراق ليعمل هناك ثم انقطعت أخباره فجأة.. لا اتصال ولا خطابات ..عرفوا بعد ذلك من أحد المصريين العائدين من العراق أن راضى مات ومن ساعتها وأمه لاتراه، لاتتذكر إلا راضى وحنان راضى وشهامة راضى، ثم ماتت بعد عامين مرضًا من حزنها عليه.. والتحق بكلية الإعلام وعمل في أحد محلات (الكبدة) ليوفر ثمن المذكرات لكى لايضطر أن يطلب من أبيه مالًا، فهو إما سيجده مخمورًا أو(مسطولًا) بعد جلسة دخان مشبوهة.. كسدت تجارة أبيه واستدان لكى ينفق على الدخان والشرب والنساء الساقطات، تاريخه كله غير مشرف ..وفى عامه الثالث في الكلية تركه أبوه وحيدًا وإن لم يحس حينها

بألم الفقد لأنه لم يعرف يومًا معنى الاحتواء، اعتاد أن يعيش وحيدًا ويعتمد على نفسه في كل شيءٍ ويشعر أن الوحدة بيته الذى تربى فيه وشكّل شخصيته الأنانية التي لا ترى إلانفسها وصالحها فقط، أجاد إخفاء ماضيه وأبيه سيئ السمعة عن جميع معارفه وزملاءه - القليلين جدًا- في الكلية فقد كان لايصادق أحدًا إلا لو كانت هناك مصلحة يرتجيها منه، وغالبًا يصادق الأثرياء، يغرقهم بالمخدرات ويكتفى بالمشاهدة ..يجلس في مجالسهم ويستمع حديثهم نصف الواعى بعقل متيقظ هو كل ثروته في الدنيا.. يعلم أنه لايملك المال مثلهم ولايملك العائلة مثلهم ولكنه يملك عقله وذكاءه وطموحه ..ونقطة تفوقه هذه لن يسمح لهم بسلبه إياها أبدًا ..أصرّعلى أن يكون نجمًا في الكلية بتفوقه الدائم فيغيب أيامًا من الكلية- لظروف عمله - ثم يعود ليجمع المحاضرات من الطلاب، حيث يصورها ويسهر عليها ليالٍ طوال في بيته وحيدًا، وهكذا ولد التفوق من رحم المعاناة ..ولد النجاح من رحم الفشل، على أنه لم يختلط أبدًا بأبناء منطقته الشعبيه.. كان يكرههم لأنه يعلم أنهم يكرهونه لسيرة أبيه الراحل وأن لم يتفوه أحدهم بهذا أمامه فهو استشعره من نظرات عيونهم، وربما اختلقه لأنه كان بدوره لايحب أباه ويعتقد أنه سبة في جبينه ووصمة عار لابد من التخلص منها .. فإن لم يكن فلا أقل من إخفائها عن الدنيا بأسرها ..وإلى الأبد ..طموحه المحموم إلى غاية لا يدركها صنع فقاعة عزلته عنهم تمامًا، وتذكر كيف التحق بعد تخرجه بالجريدة الكبرى متدربًا وسرعان ما انطلقت مواهبه

وتفجرت ينابيع النبوغ أمام رؤسائه فارتقى صعودًا مستمرًا بلا توقف، بمهارة لغوية يُحسد عليها يُعد الاخبار التي صنعها أو اشتراها أو سرقها.. سيان.. يقدمها لرؤسائه فيزداد الرضا عنه خاصة بعد التقارير الكاذبة المفبركة عن بعض الموظفين في الجريدة، حيث يشى بهم عند رؤسائه ويقدمهم قربانًا ليصل إلى ثقة عمياء عند أهل الثقة في المكاتب الفخمة.. كم أزاح من خصوم عن طريقه في سباقه الطويل نحو المجد حتى وصل لمنصبه هذا ..مدير التحرير.. ربما أصغر مدير تحرير في مصر ..وظهرت فى حياته أميرة ذات السحر الغجرى ولكنها لم تصمد أمام منطقه فهى فقيرة مثله ومن خلفية بيئية شعبية مثله تمام وهو كره فقره وبيئته ومجتمعه .. لم يحلم يومًا من الأيام أن يعيش هنا، بل إنه يفكر في الآونة الأخيرة أن يترك هذه المنطقة الموبوءة لينتقل إلى شقة في المعادى لايعرف بشأنها أحد، وهناك يجيد إدارة حياته الجديدة ويدبر صفقاته وتجارته الخفية، إنه لن يخطئ خطأ أبيه التاجر الفاشل.. بل سينجح.. يعرف أنه سينجح فهو لم يرث من أبيه إلا هرمونات التجارة التي تجرى في عروقه مجرى الدم، ينظر لكل شيء يقابله أنه صفقة لابد من أن يربحها بأى ثمن.. تاجر في كل شى ..تقارير صحفية يصممها بإتقان احترافى ويبيعها لمن يدفع أكثر وأحيانا يسرقها من على شفاه أصحابها ويبنى فوقها هرمه الخاص، عمل في تجارة العملة في السوق السوداء وتجارة المخدرات والآثار، وكان ذكيًا لم يسمح لأحد أن يورطه أبدًا فدائمًا ما يختفى في الظل في المنطقة الداكنة.. يسقط الجميع إلا هو، لم تشر

إليه يد الاتهام أبدًا رغم معرفته بعتاة الإجرام في أوساط المناطق الشعبية البعيدة عن قبضة الشرطة وظل دائمًا (اللهو الخفى) الذى لم يسقطه أحد.. تتبع خط سير حياته التي تمر أمامه مثل شريط السينما .. إنه يريد حياة أخرى ونقلة أخرى ..نقلة تؤمن له مستقبل مريح وتملأ حياته بالذهب، يريد سالى التى تقول معلوماته أنها توشك أن تفلت، مصادره تنبؤه أن العصفورين فى قمة السعادة ومتابعوه الذين يطاردون سالى في كل مكان ويعدون خطواتها ويقصوا أثرها بل ويحصون أنفاسها أنبأوه بذلك ..وهنا دق في رأسه ناقوس الخطر.. إن الحرب لم تعد في صالحه وخطته كادت تفشل وهو لم يعتد في حياته أن يستسلم للفشل بل اعتاد أن يتحداه ويسخر منه، يهزأ به ويبحر فيه مصارعًا أمواجه حتى يصل إلى المرفإ على الشاطئ الآخر حيث يغرس رايته على الضفة الثانية، حيث يعلن للعالم كله أنه دومًا من ينتصر ..تحدى ظروفه البيئية الصعبة وظروفه المالية الأصعب حتى استطاع أن يصل إلى كلية الإعلام طالبًا فيها وتحدى وضعه الاجتماعى والمالى المتردى مرة أخرى وكان أنجح طالب في الكلية طوال سنوات الدراسة ..كان بإمكانه أن يصبح معيدًا في الجامعة لولا أنه يعتبرها وظيفة حكومية شبه ثابتة وهو يكره الروتين ولا يريد أن يتقيد.. يريد أن يكون حرًا وينطلق طموحه محلقًا في سماء المجد بلا أجنحة ..لطالما انتصر على عقبات في طريق نجاحه المهنى ولطالما أزاح خصوم ومنافسين فهل يقف الدكتورأحمد الصاوى عقبة في طريق آماله ؟! هل يعوق انطلاقته ويدمر أحلامه؟ إن هذا

لن يكون.. ولكن ما العمل؟ لابد أن يتصرف بسرعة ..لابد أن يصل لنهاية الرواية الآن ..لابد أن يضع الفصل الأخير ويسدل الستار، طلب أميرة على التليفون ودون أن ينتظر حديثها شرح لهاماينبغى عليها فعله..وفى أسرع وقت ممكن

*****

رنّ هاتف الدكتور أحمد وكانت أميرة.. برغم أنها تعرف رقمه منذ فترة إلا أنها لم تفكر أن تتصل به هاتفيًا أبدًا.. هكذا أمرها محمود.. لذا تعجب الدكتور أحمد لما طلبته وتنبأ بشر خفى ..خطر كامن ..فكر ألا يرد - وليته فعل ولكن الشهامة المتعمقة في ذاته أبت عليه تركها وحيدة ولما سمع صوتها وماتريد تعجب أكثر:

- دكتور أحمد

سمعها بنبرة اضطراب وقلق كمن يريد أن يتكلم ولا يريد أن يسمعه أحد أو من يتكلم ثم يشعر بالندم لأنه تحدث، حاول أن يطمئنها من قلق لايدرى مصدره قائلًا لها في لهجته المهذبة الودود:

- نعم يا أميرة

بنفس الصوت المضطرب الباكى الذى لا يدرى ماذا يفعل فاجأته :

- هل أستطيع أن اقابلك الآن؟ الأمرمهم جدًا حياة أو موت

حاول للحظة أن يتنصل ولكنه تذكر أنها يتيمة وحيدة فقيرة فتردد قليلًا باضطراب ظهر في صوته:

- ولكن أنا...

ولكنها قطعت عليه محاولاته وحاصرته في طريق واحد:

- أرجوك ..أنا سأنتظرك فى كافتيريا (....)لاتتأخر.

باستسلام قال لها:

- حسنًا

وهكذا مدفوعا بشهامته الفطرية ذهب إلى الكافيتريا التى أشارت إليها فوجدها بادية التوتر والقلق، و حكت له بكلمات مضطربة قصة ملفقة أعدهامحمود ولقنها إياها عن حادثة تعرضت لها ومجموعة من الشباب ضايقوها أثناء سيرها في منطقة نائية فهربت منهم لما حاول أحدهم جذبها على الأرض جذبة قوية أصابت يدها قبل أن يتدخل بعض المارة لإنقاذها من هؤلاء الذين فروا خوفا.. وتخلط كلماتها بمزيج من الدموع والصوت المضطرب كى تسد ثغرات المسرحية الملفقة ..نظر الدكتور أحمد ليديها وكانت ترتدى قفازًا شفافًا إمعانا فى التمويه.. فالتقط الدكتور أحمد يدها يتحسسها بانفعال فطرى نابع من طيبة قلبه وإحساسه الإنسانى المرهف ..إحساس ولدته الشفقه.. كان يشعر أنها عصفور كسر جناحه فلا يستطيع الطيران ..قطة مبتلة ترتجف بين يديه بردًا وتلتمس بعضًا من الدفء، نظرت له بامتنان أغرقه بسواد عينيها بلا قصد وبرفق - تعمدته - احتضنت يديه بأناملها ليبدو وكأنه يمسك بيديها أمام محمود الذى كان يجلس على الطاولة المقابلة يصورهم بهاتفه المحمول خفية !!.. وفى نهاية اللقاء طلبت من الدكتور أحمد أن يعد لها ملخصًا لآخر محاضراته لأنها لن تستطيع الحضور للكلية فى الأيام المقبلة، ودعته وشكرته وتلفتت حولها كاللصوص ثم انصرفت بعدما دقت المسمار الأخير فى نعش علاقته بسالى ..غدًا ستنفجر البراكين ..غدًا ستقوم القيامة

*****

ماهى إلا ساعات وكان الفيديو مع الحكاية الملفقة يلف كل أرجاء الجامعة.. تناقله الطلاب كما يتبادلون النكات الجديدة والحكايات الجديدة والفضائح الجديدة، وتبادلوا الفيديو مع الحكاية وكل منهم يضيف كلمة من هنا أو رأيًا من هناك حتى أصبحت رواية ضخمة متشعبة الأحداث ، وانقسموا في روايتهم لطرفين : بعضهم يرى أن الدكتور أحمد الصاوى استطاع - بخبث - أن يدعى التهذيب والخجل والمثالية واستطاع أن يرتدى ثوب الفضيلة مخفيًا خلفه قناع الذئب ..فقط ليخدع الطالبات وزميلات العمل، وانبرت إحدى الطالبات تحكى كيف كان الأستاذ يلاحقها بنظراته المسمومة ولكنها رفضت ! وأخرى تدعى أنه راودها عن نفسها ولكنها أبت ..وأخرى وثالثة ورابعة ...أما الفريق الآخر فينكر كل ذلك وإن كان لايدرى أيصدق الفيديو أم يكذبه؟.. إن دليل الإدانة واضح لا شك فيه ولكن سمعة الدكتور أيضًا حقيقة واضحة أدبه الجم وحياءه الفطرى وشهامته الغريزية, وطيبته وحبه للخير بنوا سدًا أمام عقولهم فطاشت واضطربت وأصابتها الحيرة والتخبط ..حتى يصل الفيديو إلى سالى فتنهار بعدما تأكدت ظنونها نحو الدكتور أحمد وعلاقته بالغجرية المدعوة أميرة وإن كانت لاتدرى أتصدق مايقال وما تسمعه من أحاديث وماتراه أمامها ومارأته بعينها في مكتبه؟ أم تصدق قلبها الذى يأبى التسليم ومشاعرها التي تقول بكل وضوح أنه بريء؟ ولكن إن كان بريئًا فلماذا يمسك بيدها كما هو واضح في مقطع الفيديو؟! إن كان بريئًا فلماذا رفض قطع علاقته بها رغم حديث الطلاب عنه؟.. إن كان بريئًا فلماذا يقابلها خارج الكلية من الأساس ؟

التهمت الأسئلة الملتهبة أعصابها بلا رحمة ..كانت تتعذب

وهى ترى صرحها الوردى يتحطم على أرض الواقع ..ينهار وتجرفه رياح الخيانة ..كان صرحًا من خيال فهوى.. أتراه كان خيالًا أم أنه حظها السيء أن تصاب بخيبة الأمل مع أول تجربة لها في حياتها ؟..إن الناس يعدونها محظوظة بسبب والدها وثروة والدها ومكانته الكبيرة في الدولة، ولكم رأت نظرات الحسد في أعين زميلاتها في الكلية.. الكل لايرى إلا الهالة الذهبية المحيطة بها ..الهالة البراقة.. لا أحد فيهم يعرف سالى الإنسانة التي كانت ترى أقصى أمانيها أن تعيش سعيدة مع من تحب، الثروة والمركز الاجتماعى والوجاهة - وإن كانا متوفرين بين يديها - فهى على استعداد تام للتنازل عن كل هذا طواعية من أجله ..من أجل الحب ..الحب وحده يجعلها سعيدة ..ولكن أين هو الحب الآن؟ إن الوحيد الذى فهمها على حقيقتها واقترب منها فلمس روحها كان الدكتور أحمد، كانا متفاهمين في كل شيء ..يفهمها من نظراتها ويعرف ماذا تريد أن تقول من قبل أن تتحدث، ولكن ما الفائدة؟ سقطت كل الأقنعة وشوهت كل الوجوه ولم يبق لها إلا الذكرى وبحر من الأحزان تغرق فيه بمفردها.. تغلق على قلبها حتى لايرى الناس دموعه وتبكى في صمت ..تجتر ذكرياتها الباسمة معه بعد أن أغرقهما فى بحر الأكاذيب، كل كلامه كان وهمًا وسرابًا في بادية محترقة بالعطش ..لماذا فعلت هذا يا أحمد؟ لماذا ذبحتنى بسكين الخيانة بعد أن عرفت معك معنى الحب ؟

لماذا ادعيت الطهر وأنت مثل كل من سمعت عنهم ذئب يطارد الحملان؟ علاقتك بها لم تكن حالة إنسانية كما ادعيت فأنت تقابلها في الخارج ..تقابلها وتجلس معها في مكان بعيد من العيون.. تقابلها وتجلس معها وتحتضن يديها مثلى تمامًا.. ولو كان الحديث مجرد إشاعة لما التفتت إليه ولكن أحدهم صورك والصورة أصدق من ألف كلمة، صورتك وأنت تنظر لعينيها بنهم وأنت تمسك بأناملها بحرص كأنك تخشى عليها من الكسر.. مثلى تمامًا.. وكنت تسكب في أذنيها كذبك مثلما فعلت معى وتدعى الارتباك والاضطراب والخجل معها مثلما كنت تفعل معى.. فلماذا إذن أخرجتنى من وحدتى التي كنت أعيش فيها راضية؟ لماذا جعلتنى أرى الدنيا بعينين من أمل ؟ لماذا جعلتنى أحب العالم وأحب حياتى وأحبك؟...
وتصرخ فى نفس سالى مشاعرها غضبًا وحزنًا وألما فيجيبها صوت آخر انبثق من قلبها ينبرى دفاعًا عنه.. إنه لم يخطئ ..إنه حبيب عمرك الذى لم ترى منه شيئا يسئ منذ عرفتيه حتى أن قلبك يرفض خيانته لأنه يحبه والمحب لا يخون أبدًا.. وربما كانت مكيدة.. نعم إنها ولا بد مكيدة دبرها البعض لإفساد ما بينكما، هدأت قليلًا وهى تستمع لهذا الصوت الذى يطالبها بالتريث وعدم الاندفاع، نعم ولم لا تكون مكيدة من بعض الحاقدين من أجل الوقيعة بينهما؟..
ولكنها عادت تتساءل من الذى يفرق بينهما؟ ولماذا؟!..
هي بلا أعداء وهو كذلك.. فيجيب الصوت الآخر ربما كانت الغجرية, فهى فتاة منطلقة متحررة وربما كانت تريده لنفسها فقررت إغواءه لابعاده عنك.. فإجابت بغضب وحسرة : لوكانت هي السبب فهو خائن لأنه التفت إليها

واستجاب لإغوائها تاركًا إياى أحترق ليقابلها خارج الكلية ؛ فيهمس لها وتهمس له ..ليغرق في بحر فتنتها.. إنه خائن ولا يتسحق الدفاع عنه ..وهكذا ربحت مرافعتها ضد قلبها وحكمت في القضية حكمًا نهائيًا.. وأغلق الملف ...للأبد

*****

وهكذا نجحت خطة الشر فى الإطاحة بقصة الحب الوليدة وقرر مجلس الجامعة أن يطلب من الدكتور أحمد الانتقال لأية جامعة أخرى حفاظًا على ماتبقى من سمعته وسمعة الكلية، وجاءه هذا الأمر كما كان يريد وإن كان لايعلم حتى اللحظة ما الذى يريد؟

ما الذى أخطأ فيه؟ إنه يعتبر كل الناس أخوة له في الإنسانية.. لم ينظر لأنثى نظرة رجل خائن ولم يحاول منذ مراهقته أن يعبث مثل الشباب ..لم يخدع أو يحاول حتى أن يخدع أى إنسان ..حاول أن يتذكر مرة أذى فيه أى أحد فلم يجد، حاول أن يتذكر مرة استنجد به ملهوف وخذله أو أغلق أذنيه عنه وأعمى عينيه عن الحق فلم يجد.. أما عن أميرة فقد كان يعاملها كطالبة عنده أو حالة إنسانية أبت شهامته ورجولته أن يتخلى عنها ..فماذا كان الجزاء؟! فضيحة لاذنب له فيها سوى أنه شهم ونظيف طاهر، يعتصر ذهنه ليعرف مَنْ صوره وما الذى دفعه لتدبير مؤامرة حقيرة مثل هذه؟ فالبتاكيد وراءها عقل جبار شيطانى، ولكنه يعود لنفسه فيتساءل : أنا ليس لى أعداء فمن يكون عدوي الخفى هذا وما مصلحته؟ أما سالى فهى العقدة الأكبر في روايته القصيرة، معادلة مستعصية الحل. سالى الحبيبة التي أحبها من كل قلبه ولم يفكر لحظة في خيانتها

وكان حبه صادقًا بريئًا معها مثل ديدنه مع كل الناس فهى بالنسبة له كل الناس، وحاول الدكتور أحمد أن يطلب سالى أكثر من مرة على هاتفها دون فائدة ..رنّ الهاتف مرة واحدة قصيرة ثم أغلق ومازال مغلقًا حتى الآن وكأنما تعلن بذلك أن الباب أصبح مغلقًا وللأبد، كان الاتصال مقطوعاً مثلما أصبحت العلاقة مقطوعة وتمزقت أوصالها بسكين الغدر والخسة والخديعة، أرسل إليها أكثر من رسالة على هاتفها دون أمل في أن تقرأها إذ يبدو أنها غيرت خط التليفون من الأساس، حتى عندما بعث لها برسالة مع إحدى صديقاتها جاءه الجواب مليئًا بالمرارة مع طلب مهذب رقيق بالابتعاد والنسيان؛ لأن كل شيء انتهى تمامًا لكنه لم يستسلم لليأس, وفى خطوة جريئة - ندر أن يقدم على مثلها - لملم نفسه بصعوبة وتوجه نحو منزلها !..فوجئت سالى بوالدها الأستاذ علم الدين يتحدث مع شخص ما في بهو الفيلا الفاخرة, كان الحديث مرتفع الصوت ووالدها منفعل فظنت في البداية أنه يكلم أحد مرؤوسيه أو الصحفيين العاملين بالجريدة ويوبخه على شيء ما كان ناقصًا أويعاتبه على تقصير في العمل؛ فكثيرًا ماكان أبوها يجلب الجريدة للمنزل ويستمر في أحاديث هاتفية واجتماعات بالساعات.. ولكنها انتبهت عندما سمعت اسمها فعرفت أن الحديث يخصها , فتسللت كالقطة على السلالم بخفة شديدة ورأته.. رأت الدكتور أحمد يتحدث مع والدها بخفوته المهذب وأبوها ثائر حانق لما سمعه ورآه، وفجأة رفع أحمد رأسه فرآها.. ولفتت نظرته أباها فرآها كذلك.. لم تجد فائدة من الاختباء فنزلت لتنضم للحوار، وطالبها أبوها بالانصراف فأبت

وأرادت أن تريه كم هي قوية قادرة على إدارة شئونها بنفسها.. صلبة لاتؤثر فيها الصدمات ..تهدج صوت أحمد وهو يقول لها في ضراعة:

- سالى ..لا تصدقى مايقال.. أنا مظلوم وخُدعت.. أميرة خدعتنى

بتحد نظرت له وهى تسأله بهجوم:

- ولماذا ذهبت لمقابلتها في مكان عام ؟ ألم تكفك المقابلات في مكتبك؟!

أجابها أحمد بلهجة وضع فيها كل انفعالاته:

- كانت تستنجد بى بسبب أزمة طارئة مرت بها ..حالة إنسانية

بسخرية مريرة تبللت بدمعة حبستها بقسوة قالت:

- ياالإنسانيتك وقلبك المرهف !

رد عليها بمزيد من الضراعة:

- صدقينى ..هذا ما حدث

باغتته بهجمة خاطفة لكى ترى رد فعاله بسؤال مباغت:

- والفيديوالذى تظهر فيه وقد أمسكت بيديها بافتتان؟

أجاب بلهجة لم تقنعه هو شخصيًا بسبب نبرة الخنوع التي تملأها:

- لقد كان تصرفًا عفويًا لم أقصده.. صدقينى

كادت تنفلت الضحكات الساخرة من صوتها وهى تهزأ به:

- كل تصرفاتك عفوية إنسانية صادقة النية.. ما أطيبك وما أقسى العالم!

يتمتم بيأس حروف لامعنى لها:

- سالى.. أرجوك أنا.....

قاطعته بقسوة ذبحته:

- الموضوع انتهى يا دكتور وتقدر حضرتك تتفضل

وقف الأستاذ علم الدين يرى تلك المواجهة صامتًا، يرى رد فعل ابنته على الموقف.. ولم يعقب بعد عبارتها الأخيرة التي تحمل الطرد المباشر بأسلوب صريح، لم يعقب وكأنه يعلن موافقته لسالى على ماقالته وما فعلته, يعلن تأييده لها في تصرفها شاعرًا بفخر خفى لأن ابنته القوية الصلبة تحدت مشاعرها وأبت عليها كرامتها أن تكمل في طريق ملئ بالأشواك مع شخص مخادع مثله.. وأمام هذا الموقف وبعد كل ماسمعه لم يجد أحمد الصاوى مايفعله غير أن يلملم أجزاءه المبعثرة في الصالة مع ما تبقى من كرامته, وشظايا حلمه المتفتتة التي نسفتها سالى ممتزجة برائحة قصة حب حلوة ارتفع أريجها في الهواء لحظات قصار ثم تبدد وأصبح أثرًا بعد عين.. لم يجد ما يفعله إلا أن يلملم اشلاءه وينصرف ..أغلق الباب ووقف الأب وابنته في مواجهة بعضهما البعض، يمتزج الحزن في عيونهما بالفخر في عينى الأب والندم في عينى سالى.. فتح لها ذراعيه فألقت بنفسها في حضن أبيها وتركت لمشاعرها العنان ، أطلقت لسيل دموعها المجال لتغرق كتف أبيها بلا تحفظ، وتركها رئيس التحرير تبكى عالمًا أن بكاءها سيغسل نفسها من الداخل ..عالمًا أنها كانت تحبه وأن الصدمة قاسية عليها خصوصًا أنها أول تجاربها ولن تخرج منها بسهولة ولكن لنحمد الله أنه انكشف سريعًا وفاحت رائحة الخيانة قبل أن يرتبطا رسميًا وتنتشر أخبار الفضيحة فتملأ كل الأوساط الراقية بأنباء بنت رئيس التحرير التي خانها خطيبها ..لم يعرف الأب أن ابنته غارقة في بحر آخر لا علاقة له بالحزن أو بالفضيحة أو أى شيء آخر مما

يظنه، إنها غارقة في بحر من الحسرة والندم، نادمة على ما فعلت وتريد أن تدير عقارب الساعة للوراء لتتراجع فيما قالت لأن جزءًا من قلبها وعقلها يرفضان رفضا باتًا كل ماحدث ..ولكن هيهات.. لقد فات الأوان ولن تستطيع أن تعيد الماء الذى سال على الأرض إلى القارورة بعد أن تحطمت حتى وان أصلحتها، لن تستطيع أن تعيد كرامة الدكتور أحمد التي أراقتها مع آخر أمل في العودة مرة أخرى.. لن تستطيع.. كل ماتستطيعه الآن أن تمتص الحسرة وحدها.. وفى صمت.

أما الدكتور أحمد فقد قرر الانسحاب والرحيل لحيث لا يعلم أحد، وتقدم بإجازة ثم اختفى من الجامعة ومن حياة سالى تمامًا ،وشعر محمود السكرى أن حلمه اقترب وأن وقته حان، أما أميرة فشعرت بالندم يطغى على أيامها بوشاح أسود يخنق أنفاسها كيف أطاعت شرها واشتركت في هذه المؤامرة الحقيرة ..فما الذى فعله لها الدكتور أحمد الصاوى الرجل المهذب الطيب المحترم الذى ساعدها من كل قلبه وبلا مقابل لترد هي إحسانه بأن تعض اليد الممدودة إليها ؟ لماذا فعلت كل هذا أمِن أجل بعض الأموال فعلت ذلك أم أن ما طلبه محمود السكرى كان عصيًا على الرفض أم هو الحقد؟ نعم الحقد على سالى وحياة سالى وحب سالى، أنه الحقد الذى ملأ قلبها فلم تجد له متنفسًا إلا في الغدر.. ولكنها تعلم أن الله سينتقم منها عاجلًا أو آجلًا.. ترى كيف سيكون انتقامه؟ إنها لاتدرى وتخاف هذا اليوم كثيرًا، خرج الجميع من هذه المؤامرة خاسرين ..سالى خسرت حبيبها والدكتور أحمد خسر حبيبته وسمعته

أميرة خسرت احترامها لنفسها للأبد واكتسبت عذاب الضمير، أما محمود السكرى فهو الوحيد الذى لم يخسر شيئًا ، الوحيد الرابح بعد أن نجحت خطته وأزاح منافسه وشعر بالزهو ولذة النجاح وشعر بالمجد .. الكثير منه.

*****

رنّ هاتف محمود أكثر من مرة ولم يرد.. كانت أميرة وكانت مصرة على أن تكلمه وهو لايريد أن يجيبها بل ويرغب في يقطع علاقته بها تمامَا، لم يكن في نفسه أى مساحة لأى أحد أو أى شئ يعوق انطلاقه أو حتى يذكره بما مضى، كان يريد أن يتأهب بكل قوته ويستعد ليقتحم عالم سالى ثم رأى أنه من الصواب أن يهادنها ليرى ماتريده وليفكر في طريقة تبعدها عنه فيما بعد، أمسك هاتفه المحمول وطلب رقمها وهو يعد في نفسه ما سيقول وقرر أن يطلب منها أن تختفى تمامًا حتى تهدأ الأجواء التي اشتعلت وأن تنقل ملفها إلى جامعة أخرى من أجل سمعتها ولصالحها فى هذا الوقت على الاقل، ولم تكن أميرة ممن يأبه كثيرًا لمسالة السمعة هذه.. لوكانت تهتم لما فعلت مافعلته منذ البداية في مقابل بعض الأموال التي اشترت بها ملابس جديدة وعامل نفسى آخر وهو أن تكسر قلب سالى الجميلة المدللة بنت الأكابر، ولكنها عادت تصطلى بلذعات ضميرها ، بعدها قررت أميرة أن تبتعد مؤقتًا لحين تجهيز فرصة أخرى لهجمة جديدة مختلفة الهدف ولكن بعد حين.. وهكذا أصبحت الأرض لمحمود ممهدة..تمامًا

*****

نظر محمود لزوجته في صمت حائر وهى تتسلى بالعبث

على تليفونها المحمول، لم يستطع أن يستنبط ما وراءها من الأسرار وفشل حسه الصحفى في اختراق أسوار غموضها ..تطايرت الأسئلة من حوله ودار رأسه مع دوران المروحة وسقطت علامات الاستفهام في كوب الشاي خاصته وذابت... إنه حرفيًا يتنفس تساؤلات حتى شعر أن إحداها تقف في حلقه تمنع عنه الهواء! ..ترى لماذا صارحته بأمر الدكتور أحمد الآن ؟ وما الذى تقصده من موضوع أميرة؟ كلها أمور غامضة لا تنبئ بخير، عقله يقول له أن وراءها شيئًا غامضًا مخيفًا خطيرًا ..من الذى أخبرها؟ .. كان لا يعلم وأنّى له أن يعلم

*****

تريد أن تعلم ما أفكر فيه يا محمود.. هيهات.. إن عقلك الخبيث عاجز أن يفهم طبيعة الأنثى.. استمر في غليانك فما أحمله لك مفاجأة ستزلزل حياتك.. استمر فلن تتوقع أبدًا ما أعرفه ..استمر

*****

تشاغلت سالى بمراجعة بعض الصور على تليفونها المحمول وإن كانت فى حقيقة الأمر تفكر فى أمر زوجها محمود السكرى، ذلك الاسم الذى قدر له أن يرتبط باسمها لسنوات ..إنها تذكرالآن كيف كان تعرفهما ..لم تكن قد لملمت شتات نفسها من قصتها مع الدكتور أحمد وقد امتلا قلبها باليأس وامتلأت جعبة أحلامها بسهام الإحباط التى ما إن تلقيها حتى ترتد إلى قلبها مرة أخرى ..فقدت الثقة فى كل البشر وارتسمت الخيانة على كل الموجودات من حولها حزن طاغ يسيطر على كل نبضاتها يخنق أنفاسها

كان الحزن كبيرًا حادًا مؤلمًا جرح روحها الغضة وأدمى قلبها البرئ الصغير الذى لم يعرف غدر البشر وخيانتهم، كانت تمر بأسوأ أيامها وأسودها كانت ..تحتاج إلى من يخرجها من هذه الشرنقة التي التفت حول عنقها، ترى أحمد في كل مكان، ملامحه ارتسمت على وجه الموظف الذى استقبلها عندما دخلت الجريدة، في وجه السكرتيرة في مكتب أبيها، في وجه ضابط الأمن على باب الجامعة.. الجامعة التي كرهتها وكرهت كل ركن فيها لأنها تذكرها به، كل مكان يحمل رائحته ..ابتسامته.. ونظرة عينيه الوديعتان الآثمتان الكاذبتان، كل ركن يذكرها به، هنا وقفا وهنا شربا عصير البرتقال ..هنا تشابكت أيديهما ..هنا قال لها أنه يحبها ..هنا كتب لها أبيات شعر من تأليفه وهنا.. وهنا... تحولت كل الجهات إلى حراب مسمومة موجهة لذاكرتها فقط كى تجعل العالم أسوأ تكاد لاتذهب للكلية أبداً من أجل أن تنسى وأنّى لها أن تنسي!! زادت زيارتها لأبيها لعلها تغير الجو الحزين الذى تتنفس أشجانه ليل نهار، حتى كانت إحدى زياراتها لأبيها الذى استدعاه لكى يدربها بنفسه على العمل الصحفى قائلًا أنه لايثق بأى أحد فى الجريدة ثقته فى محمود السكرى مديرالتحرير الشاب، وكم كانت سعادته مفضوحة فى ملامحه وهو يسلم عليها متظاهرًا بالأدب والحياء، كم كان رقيقًا أو يدعى الرقة، تعددت لقاءات سالى ومحمود داخل الجريدة وخارجها وكان أحيانًا ما يصاحبها ليريها كيفية عمل التقارير الصحفية والتحقيقات على أرض الواقع، وبهرت سالى لما لمسته من حرفية شديدة لدى محمود، كان صحفيًا بكل ماتحمل الكلمة من معانِ وبرغمها انعقدت

المقارنة بين محمود وبين الدكتور أحمد الصاوى، كان محمود جريئًا بينما الدكتور أحمد خجولًا وبشدة ، يجيد محمود التصرف فى كل المواقف بسرعة تثير إعجابها وتشعرها بالطمأنينة بينما كان الدكتور أحمد يتردد كثيرًا قبل اتخاذ أى قرار، وبرغم كونه معيداً بكلية الإعلام إلا أن قدرات محمود كصحفى تفوقه كثيرًا وخبرته المهنية لاتقارن، وعرفت حينها الفارق بين الدراسة الأكاديمية والخبرة والممارسة الواقعية، وربح محمود هذه المقارنة فى عقلها ، تودد إليها وأصر على أن يدس عبارات الغزل فى وسط الحديث واستمالها إليه بهذه الطريقة، إنه لايريد أن يحرق كل مراكبه دفعة واحدة يحدثها كثيرًا عن حياته الماضية وكيف بدأ من الصفر كنموذج للإنسان العصامى ..حدثها عن عمله أثناء الدراسة ..عن بيئته الشعبية الفقيرة متجاهلًا تمامًا الحديث عن أسرته بتوسع يكتفى بالإشارة لوفاتهم جميعًا ليغرز داخلها شعور التعاطف على يتمه ووحدته، نفس الشرنقة التي خنقتها طويلًا وكأنما كتب عليها ألا تلتقى إلا بضحايا الوحدة، وكانت تشم فى كلماته رائحة غضب حزين ينبع من إحساسه بالظلم يمتزج بنقمة على كل العالم ولكنه سرعان مايبدد هذه الغيوم ليعود إلى نثر عبارات الغزل التى تداعب مشاعرها بلطف، وبدأت تشعر نحوه بالارتياح مما زاد من ارتياحه إليها واقترابه منها وجرأته على الحديث فى أمور لم يتحدث عنها من قبل.. وانطلقت تحكى له كل ما يهمه ومالا يهمه أن يعرفه ولكنها بالطبع لم تذكر حرفًا حول حكايتها مع الدكتور أحمد ربما لكى لاتجرح شعوره من ناحية أو ربما قدرت أنه يعرف بشكل أو بآخر

أو لأنها لم تتخلص من حبها للدكتور أحمد بعد، إنها لاتدرى حقًا ولكن المهم إنها تحكى والأهم أنه كان يجيد الاستماع، تحكى له عن أي شئ فيشعرها أنه يسمعه لأول مرة، والعجيب الذى لفت نظرها أنه برغم تيقنها أنه يعرف حكايتها مع الدكتور أحمد بحكم عمله كصحفى متيقظ جدًا لم يتطرق إلى ذكر اسمه أو معرفته به أو بحكايتها معه أبدًا في أى حديث بينهما ..كم كان حقيقيًا.. وكم كان مخادعًا!!

*****

ومع تعدد اللقاءات تولدت الألفة ومعها تولد الارتياح ثم الإعجاب فالحب ..ولما شعر محمود أنها أصبحت مهيئة بدأ يصارحها بحبه لها ويطيل الوصف فى وجهها الصغير المستدير الشبيه بطاقة من نور متوهج، أحيانًا يحدثها عن عينيها التى يقول عنها:

-أشعر عندما انظر في عينيك أننى اغفو فى الجنة وأسمع تغريد طيورها وأسافر فى لمعان الذهب المنسدل على كتفيكِ.

كان محبًا .. حالمًا ..قريبًا وكان كاذبًا ..وتزوجت سالى من محمود واستطاع أن ينسيها الدكتور أحمد وحكايته أو كاد أن يفعل، ثم كانت وفاة والدها بعد زواجهما بعام واتفاق مجلس إدارة الجريدة على أنه لايصلح لهذا المنصب الخطير إلا صهر رئيس التحرير الراحل ومدير التحرير الحالي الشاب الذكى الطموح محمود السكرى، وغرقت سالى في حزنها لوفاة والدها واتسعت مساحات الوحدة في عالمها مرة أخرى بصورة أكثر مما مضى ..الوحدة الآن أصبحت مغلفة بخاتم يلتف حول إصبعها لاتراه إلا قيدًا ولقبًا يلتصق باسمها يذكر للعالم كله أنها متزوجة وإن

كانت ترى أنها مجرد لقب، مجرد حالة اجتماعية، إن أبيها الراحل كانِ جزيرة تحتضنها من برد الشتاء وتقيها وهج الشمس صيفًا ..حنانه الذى طالما أغرقها في بحر ناعم لاتعبأ بشئ وهى بجانبه، وشعرت أنها تعرّت واجتاح البرد أطرافها فتجمدت، النكبات تتلاحق في حياتها بعد صدمة أحمد والآن وفاة أبيها فالتمست محمود لينتشلها من بحر الشجن لكنها رآته مضجعًا على الشاطئ في استرخاء .. كان يستجم.. يشاهدها تغرق فلا يبالى، ربما كان يبتسم.. نادته بصمت وصرخت فلم يسمعها وشعرت حينها أنه يعيش بجانبها بجسده أما عقله فشرد في المنصب الجديد والوضع الجديد واللقب الجديد، وازدادت مشاغله وازداد إقباله على العمل وابتعاده عنها..فلجأت لعملها وانهمكت فيه لعلها تدفن شجنها وخيبة أملها أو تعود إلى نفسها مرة أخرى ولكن الصدمات لم تأت بعد.. وكأن الحزن يأبى أن يغادر مدينتها قبل أن يجعلها انقاضًا.. بدأت تتكشف لها فى شخصيته جوانب سوداء لم تلمحها قبل ذلك، عرفت وسمعت عنه أمورًا يشيب لها الولدان ..عرفت ما فعل مع زملاءه وكم شخص غدر به وكم من حقوق انتهكها كى يصل لما وصل إليه.. وكم من برئ هدم أحلامه كى يبنى صرحه هذا، وانكمشت على نفسها بعدما كرهته وكرهت نفسها معه، الحياة تدفعها فى مجراها وهى تترك نفسها لقوة الدفع بلا رغبة فى المقاومة.. ومرت الأيام فالشهورتباعًا ولم تنجب سالى ..ولعل هذا من حسن حظها ..رفعت عينيها عن شاشة الهاتف واسترقت النظر إليه فوجدته شاردًا.. ترى أى شر يعربد فى رأسه الصغير النحيل ؟ أى خطة يدبر وأى إنسان برئ يريد إيذاءه؟ أى مؤامرة يحيك وضد من ؟.. آه لو عرف أنها تعرف ..ولكن كيف يعرف أنها تعرف؟ ...وعادت للشرود من جديد.

*****

الفصل الرابع
العنب المر

تزوج محمود السكرى من سالى واختفى الدكتور أحمد تمامًا ولعله سافر خارج البلاد أو ربما تزوج كذلك وبقيت وحيدة.. هكذا قالت أميرة لنفسها وهى تحتضن كوب الشاى الساخن لعله يدفئ أعماقها المتجمدة أو يشعل النار فى جبل الثلج الذى يشعرها بكل تلك الوحدة.. ماذا تفعل الآن؟ هل ستذهب إلى محمود ؟ لقد أمرها ألا تظهر مجددًا وهى تعلم غضبته ..ولكن أى غضب وأى أمر؟ إنها أقوى منه و تستطيع أن تدمر حياته الزوجية والوظيفية كذلك.. شعرت بالقوة تسرى فى عروقها فطلبته فى التليفون وضربت له موعدًا حذرته من التأخر عنه، وقابلته ..وهناك فى الركن القصى من النادى جلسا على طاولة واحدة، كان محمود شديد التوتر لأنه يخشى أن تنمو تلك المعلومة لعلم زوجته أو والدها رئيس التحرير فيفسد كل شئ؛ لذا بادرها قائلًا فى خشونة لم ترهبها:

- ماذا تريدين؟

بتحدٍ قالت :

- أريد حقى

سألها وقد ازداد غضبه:

- حقك.. عن أى حق تتحدثين؟

بمزيد من التحدى أجابته بلهجة من ليس لديه شيء يخسره.. من يتحدث من منطلق قوة:

- حقى فى تلك العملية التى نفذناها سويًا

عرف أن العنف لن يجدى نفعًا فقال بتراخٍ ساخر:
- تتحدثين كتجار المخدرات!
أجابته بسخرية أشد:
- مع الفارق أنهم أكثر شرفًا
كان محمود يريد أن ينهى تلك الجلسة بأسرع وقت ممكن فقال في لهجة عملية:
- ماذا تريدين؟
أجابت بلهفة من ينتظر السؤال:
- مائة ألف
قهقه محمود ضاحكًا بسخرية:
- يبدو أنكِ جننت!
أجابته بحديث جاد لاهزل فيه:
- لم أجنّ ..لقد ربحت أنت كل شيء.. الزوجة ومستقبل مهنى مضمون بينما مازلت أنا مثلما كنت دائمًا.. فى القاع
فكر محمود قليلًا كى يستطيع أن يتخلص من تلك المصيبة وبعد تفكير عميق قال لها بأسلوب التاجر المقدم على صفقة ولا يريد أن يخسرها ..بلهجة من لم يعتد على الخسارة:
- أستطيع أن أدبر لك وظيفة فى أى صحيفة..ربما دبرت لك عريسًا كذلك
شعرت بالنصر لتخاذله والقوة أمامه فقالت بحدة أفزعته:
- أريد المال
وهنا احتدم الموقف وحانت لحظة الصدام بعد أن شعر محمود بأن موقفه أضعف فسألها متحديًا:
- وإن لم أدفع

أجابت بهدوء ساخر:
- سأخبر زوجتك وأبيها
جمع كل الشر الكامن في أعماقه فصعد إلى عينيه وهو يحدجها بنظرات مسمومة :
-عندها أقسم أن أقتلك
ردت بتحد استفزه وهى تحدق فى عينيه بتركيز لامبالى:
- سوف نرى
خرجت أميرة من باب النادى وهى تشعر بالقوة لأول مرة فى حياتها، تشعر أنها انتصرت..وعلى من ..على محمود السكرى نفسه !
داعبت الأحلام رأسها بحنان واثق وأخذت تعد العدة لاستلام المبلغ الكبير وتخطط لما ستفعله به ..ستنشأ لها مشروعًا ..أى مشروع يدر عليها دخلًا ثم تبحث عن أيضًا عن وظيفة.. وقد تتزوج ..وصلت منزلها الذى تعيش فيه وحيدة بعد وفاة والديها ، حتى اعتادت ألا يسأل عنها أحد بخلاف عمها الذى يسكن فى سوهاج ويزورها مرة فى العام، ماعدا ذلك هى وحيدة فعليًا.. مقطوعة من شجرة كما يقولون.. وكم حاول عمها أن يجعلها تأتى معه إلى سوهاج لتعيش هناك وتتزوج ابن عمها، ولكنها كانت تطلب مهلة للتفكير.. دائمًا تطلب مهلة للتفكير..فلم يكن طموحها هو الزواج بتلك الطريقة التقليدية من ابن عمها الذى يعمل موظفا بالبريد لتسكن فى الصعيد، إن أحلامها تتجاوز كل ذلك بكثير ..وهاهي الآن على مشارف تحقيق حلم منها.. مبلغ ضخم يكفيها أن تبدأ ولن تتوقف ..لن تتوقف أبدًا ..استلقت على سريرها والأحلام تحيطها وتتراقص حولها فى فضاء الغرفة ومن فرط سعادتها ..نامت.

*****

طال الانتظار بمحمود وتململ فى مجلسه فهو لم يعتد المكوث فى المنزل كل هذا الوقت، لابد له من فعل شيء ما يقضى على كل ذلك الملل ويهديه طريقًا لقتل الحيرة التي نبتت في صحراء قلبه القاحلة؛ لذا فما كان منه إلا أن نهض وأخبر سالى أنه سيخرج ويذهب للنادى وكانت هذه عادته كلما أهمه أمر ما، أن يجلس على طاولة منعزلة مع فنجان قهوة ويفكر.. كان بحاجة إلى أن يخلو بنفسه ليعرف سر هذه التغيرات الأخيرة التى طرأت على حياته فهو لن يهضم أبدًا ما قالته زوجته عن لقاءها بالدكتور أحمد مصادفة.. طوال عمره لم يؤمن بالمصادفات .. يعلم أنها عرفت شيئًا وتخفيه فلماذا تخفيه؟ وما الذى عرفته ؟ والأهم كيف عرفته؟.. بملل قال لها:

- سالى ..أنا خارج

ردت بلامبالاة مفتعلة:

- إلى أين؟

أجابها بضيق:

- النادى

سألته بطريقتها الروتينية:

- هل ستتأخر؟

جاوبها وهو يتجه نحو الباب:

- ليس كثيرًا

وترك البيت وانصرف، وهناك على هذه الطاولة المنعزلة جلس.. ترى ما الذى تعرفه سالى ؟ هل علمت أنه دبر لإفساد علاقتها بالدكتور أحمد؟ كيف ذلك إن كان الدكتور أحمد نفسه لا يعلم فمن أخبرها ؟ وكيف عرفت وأميرة - الشاهد الوحيد - ماتت مقتولة منذ أعوام ؟!

حينها جلس هنا على نفس الطاولة منذ خمس سنوات ..إن

أميرة ماتت والموتى لايعودون للحياة أبدًا.. ماتت وهوالذى دبرلقتلها .. وتذكر

*****

بيوت متراصة بإهمال وبغير نظام ..متكدسة كأن كل واحد فيها يتكأ على الآخرين ولو نزعت أحدها لانهارت الكومة كلها.. محالٌ تجارية عتيقة الطراز بعضها عليه أثر من حداثة تسير بينها وتشعر بجو غريب مملوء بشئ لاتعرفه ولكنك تحس معه بشئ من الخطر، حتى البائعين فى محالهم يعطونك ماتطلبه بنظرة صامتة فلا أحد يثرثر هنا كأنها مدينة بكماء.. تحمل نظراتهم تهديدًا خفيًا فتجدهم ينظرون باستراق إلى ماوراء كتفك بنظرة خاطفة متشككة كأنما يتوقعون دائمًا ماهو أسوأ، ولهذه النظرة - حتمًا - مايبررها فهم على كل حال اعتادوا أن يبيعوا مع بضائعهم أشياء أخرى يعدونها تجارتهم الحقيقية، وكلهم يبيعها مع بضاعة محله بصورة طبيعية ..بضاعة يعدونها تجارة مباحة حلال لاشئ فيها!

وهذا المقهى هناك هل تراه؟ هذا الذى يجلس فى منتصف الشارع ..مقهى على درجة عالية من الوقاحة والجراة يتصرف كان البلدة كلها ملك له ، هو يجلس - المقهى- فى منتصف الشارع حيث يمارس مرتادوه بصلف كل أنواع الممنوع بلا حياء ..بعضهم يخرج قطعًا من الصلصال ليعجنها ثم يضعها فى حجر الشيشة !!.أسمعك تضحك.. كل شئ هنا يبعث على الضحك هؤلاء يدخنون الشيشة مع الصلصال ما أغربهم ..يدخنون الطين !!

عامل المقهى الذى يخرج من جيبه قطعة من اللبان مصفرة

فيقضم منها قطعة ويعطى رجلًا جالسا بجواره قطعة أخرى ما أجمل التكافل الاجتماعى بين هؤلاء الناس يتقاسمون كل شئ حتى اللبان !! وهذا الذى يدخن سيجارة منتفخة لا تعلم بالطبع أى شركة هذه التى تنتج مثل هذه السيجارة.. ماذا تقول؟ تعتقد أنها سيجارًا بسبب ضخامة حجمها!.. أنا اعتقدت ذلك فى البداية ولكنى كنت مخطئا، لقد عرفت أنها شئ آخر.. والغريب أن المقهى الوقح ورواده يفعلون ما يريدون فى وضح النهار وبجوارهم طوابير من الناس أمام محلات تعطيهم (التموين) وكما ترى فهم لايشترون زيتًا ولاسكر ومع ذلك هم ينصرفون سعداء فما الذى اشتروه وأسعدهم ماطبيعة هذا التموين؟ هؤلاء ناس سعداء لديهم قناعة ذاتية فهم يسعدون بأشياء صغيرة جدًا ما أجمل هذا الحى، الآن بعد أن كثرت أسئلتك وتعددت حتى تناثرت علامات الاستفهام من حولى سأجيبك.. فإن طبيعة نشأتك فى حى راقٍ وسط عائلة محترمة يجعلك منغلق على مجموعة مختلفة من الأصدقاء ..مجموعة انتقاها الاب والام بحرص، تربيتك السليمة لن تسمح لك ياصديقى أن تعرف أين نحن ومن هؤلاء وما الذى يفعلونه فى عالمهم الغامض هذا، إن هذه المحال تبيع بضاعة يعتبرونها تجارة مثلها مثل الجبن الرومى تمامًا ، وتسميها الحكومة مخدرات ويسميها متعاطوها (كيف) أو (مزاج) أما عامة الشعب فيسمونها ممنوعات.

خلف المقهى توجد بناية قديمة مهجورة من ثلاثة طوابق بريئة المظهر من الخارج لها بدروم وعدة سلالم تقودك إلى ما تحت الأرض وعالم ماتحت الأرض ، بالطبع لن أدخل هناك ماحييت إن دورى انتهى عند هذا المكان أنا سأصف

لك كل شئ واتركك تنزل وحدك لتواجه مصيرك بمفردك فأنا لا أخفيك سرًا أخافه بشدة ارتعب منه ، ستنزل من هذه الفجوة ولاتفاجأ إذا رايت عشرات الإجساد المتراصة فى وضع الجلوس أو وضع الرقاد وبعضها يئن هذه ليست مستشفى ياصديقى بل هو مكان آخر اسمه وكر لتناول كل أنواع السموم، امشِ بحذر وسط سحابة الدخان الأزرق متجنبًا الاصطدام بأحدِ هذه الهياكل الآدمية وفتش عنه، ولكن كيف تفتش عنه فى هذه الإضاءة الخافتة التى هى أقرب للظلام؟ ستصطدم بشخص يتجول بحرية وثقة بين هؤلاء.. أسمعك تتساءل إذن فهناك من يستطيع المشى فى هذه المقبرة ويحتفظ بوعيه ؟ بالطبع لأنك ساذج تعتقد أن كل أهل الحى يتناولون تلك السموم مثلما تشرب أنت الماء، أنت مخطئ وساذج كذلك أن (طبّاخ) السم لايتذوقه دائمًا هذه مقولة خاطئة، وحدهم الأغبياء من يسمحون لتلك السموم أن تسيطر عليهم تفقدهم وعيهم وصحتهم ..تمتصهم وتلقى بهم فى الهاوية ثم تتركهم يموتون ببطء، خذ عندك مثلًا محمود السكرى.. نعم رئيس التحرير الذى أرسلك إلى هنا فى هذه المهمة الخطرة التى يرتجف قلبك منها ..محمود بك يعرف معظم تجار المخدرات ولكنه لايدخن حتى السيجارة.. يستخدم سمومه ليغرق بها من يريد لينتزع منه معلومة ..فقط معلومة ولا تنس أنه أرسلك اليوم إلى هنا لتأتى ب(شَكَلْ) إياك وإياك أن تفشل محمود السكرى لايعرف الفشل، باضطراب سوف تتذكر مهمتك.. باضطراب ستمسك بالرجل المتجول الذى يوزع المخدرات على المدمنين كل حسب طلبه، منهم من لايعرف غير الدخان ومنهم من عرف طريق (الكيمياء) و(البرشام)

فضاع إلى الأبد ومنهم من تطور به الحال (للبودرة) يشمها فتقضى على وعيه كمستعمرة نمل ألقيت عليها مبيدًا قويًا ..باضطراب ستتمسك به وتسأله كيف لى أن أجد (شَكَل).

*****

بلا صوت سيمسك بيدك ويجرك خلفه فى غرف مظلمة كأنك تسير فى دهاليز الجحيم، شياطين صارخة على الجانبين ونيران مشتعلة وتلك الرائحة الخانقة، سترى شبحًا أسود على ضوء النيران المتراقصة، سترى بعضًا من ملامح وجهه يبدو أنه بلا أسنان طويل القامة عملاقًا بتحدٍ سيسألك عما تريد فترتجف ماذا لو أنه قتلك هنا؟ فلنَ يعرف أحد لن ينقذك أحد ولكن لاتخف إنه لايقتل إلابمقابل يجب أن تتمالك أعصابك قليلًا ثم بصوت متقطع تلقى إليه بالعبارة التى لقنك إياها (محمود الملوانى يريدك) بالطبع أنت لاتعلم سر كلمة الملوانى هذه ولكنها كلمة سر اسم حركى كى لاينطق اسمه الحقيقى فى وسط هذه المناطق القذرة وحدهم من يتعاملون معه سيفهمون ، دبرأمرك ياصديقى منذ هذه اللحظة بمفردك فأنا لا أعلم ماستراه بعد ذلك استخدم كل ذكاء الثعالب ومكرها كى تنجو من هناك وتخرج حيًا أنا لن أصاحبك لأنى كما قلت لك أخاف (شكل) أخافه كثيرًا ..وداعًا ياصديقى.

اعتدل (شكل) باهتمام يوحى بقوة محمود السكرى فى أوساط الجريمة قائلًا بحذر:

- كلمة السر؟

وهنا جاءت أخطر مرحلة فى الموضوع فقال بسرعة كأنه يخاف أن ينسي كلمة السر:

- اتنين متر فى أربعين سنتيمتر

ماهذا الكلام الغريب وما هذا العالم الأغرب؟! يبدو أن كلمة السرتعبرعن مقاس (شكل) هذا طوله مترين وعرضه أربعين سنتيمتر أو ربما هى تدل على مقاسات حجم أحد التماثيل الأثرية التى هربوها لأن محمود باشا لم يترك بابًا فى الجريمة لم يطرقه، على كل حال ليس مهمًا أن أفهم معناها ليس مهمًا أن أفهم شيئًا على الإطلاق المهم أن أنفذ مهمتي بنجاح.

والعجيب أن (شكل) برغم كل شئ وضع يده على كتف الشاب قائلًا :

- تعال

وبعد قليل وجد نفسه فى النور ولكن يبدو أنه خرج به من باب خلفى لمنطقة مهجورة لا أثر للناس والمحلات هنا ينظر شكل بسخرية له ويلاحظ هلعه:

- لا تخف يابيه الدار أمان

يحاول أن تبتسم بثقة فتيحث عن الابتسامة ولا يجدها يبدو أنها سقطت منه فى الظلام , وهنا يقول له فى جدية لا أثر للسخرية فيها:

- قل لمحمود بيه شكل يخبرك أنه عشرة فى خمسة عشر

يتساءل الشاب بفضول عما يعنيه لعله تخرج بمعنى لكل هذه الأرقام ولكن شكل يقطع عليه الطريق

- قل له ذلك وسوف يفهم كل شيء

وحاول ان يخمن أنه موعد مثلًا.. عشرة يعنى الساعة العاشرة وخمسة عشر تعنى ربع إذن الموعد العاشرة والربع مساء أو أى شئ من هذا القبيل، ولكن ما معنى اتنين متر فى أربعين ؟ يقطع عليه شكل حبل أفكاره طالبًا ممن يدعى (شلاطة) أن يوصله للطريق يتساءل فى عجب

(شكل) (شلاطة) ماهذا العالم الغريب وأسماءه الأغرب؟!!
على كل حال بعد هذه التجربة اعتاد على وجود هؤلاء الناس فى حياته.. ترك شلاطة يقوده حتى يرى سيارته التى ركنها هناك, إنه يقسم الآن أن لهذا الحى أكثر من ألف طريق لايعرف منها إلاواحدة , وحتى هذه لايعرفها تمامًا ..المهم الآن أن يستقل سيارته ..أن يرحل من هنا بسرعة ويعود لمحمود بيه ليخبره بكلمة السر التى قالها شكل قبل أن ينساها.. المهمة تمت بنجاح.

*****

حدق محمود فى فنجان القهوة الذى برد دون أن يمسه.. لم يكن يشعر بما حوله وغاب عقله فى الجانب الآخر من الوعى منذ أن تركته أميرة ولم يبرح مجلسه بعد أن هددته بالقضاء عليه وتدمير مستقبله .. تطلب المال.. الكثير منه.. لم يكن المبلغ فى حد ذاته مشكلة بالنسبة له فعمليات السمسرة والابتزاز التى كان يجريها كانت تدر عليه الكثير من المال ويكفيه ما كان يتقاضاه من بعض المرشحين لانتخابات مجلس الشعب للكف عنهم وعن ماضيهم المشبوه، ولأنه لم يعتد أن ينفق كثيرًا فرصيده فى البنك ضخم ولكنه لايحب الابتزاز، اعتاد أن يخضع الكبار ويمرغ أنوفهم فى التراب ولن يقبل أن تتبدل الأدوار ويقف موقف الدفاع أمام فتاة كهذه, لن يقبل أبدًا أن ينتظر لكى يتلق الضربات التى لايعلم مصدرها ويعانى القلق طوال حياته فى حكاية لايعلم نهايتها ..هل لوأعطاها ما طلبته ستسكت ؟ من الذى يضمن له أنها لن تطلب المزيد والمزيد؟ إنه يعلم هذه النوعية من الناس، هؤلاء الذين خرجوا من شقوق الأرض وعاشوا بقاع المدينة

هو نفسه عاش ظروفًا مشابهة ..وهكذا اتخذ قراره ومن خلال علاقاته القذرة كان هذا الاتفاق مع أحد مسجلى الخطر الضالعين فى الإجرام.. يدعى (شَكَل) ..وأعطاه نصف ما طلب من المال مقابل شئ واحد.. أن يقتلها ولايترك أثرًا .. يريد جريمة نظيفة لا بصمات .. لا دليل.. لا شهود وبصوت متقطع من الانفعال سأله:

- هل تعرف المطلوب يا شكل؟

رد القاتل المحترف بسخرية من اعتاد تلك الأمور:

- لاتقلق يامحمود بيه أنا أعرف ما أفعله

قال محمود بحدة وقد ضايقه استهانة شكل بالأمر:

- وكيف ستنفذ؟

رد شكل بلا مبالة بسيطة:

- سأخنقها يابيه

اندفع محمود محاولًا تذكيره أو إشعاره بخطورة الوضع الذى لايحتمل أية أخطاء:

- وبصماتك؟

أشار شكل إلى قفازين من البلاستيك الشفاف مبتسمًا ابتسامته السوداء المقيتة:

- لقد قلت لك لاتقلق يابيه

حاول محمود أن يتنهد فسعل بقوة واحتقن وجهه:

-بعدماتنهى مهمتك ستحصل على نصف المبلغ الثانى..اتفقنا؟

- اتفقنا يابيه

أعطاه العنوان وجلس ينتظر، يأكله القلق وتلتهمه الظنون.. ترى هل ينجح شكل في مهمته دون أخطاء أم تنفجر القنبلة وتطيح به وبمستقبله وراء القضبان بتهمة التحريض على القتل ؟

ولكنه عاد يطمئن نفسه أن شكل قاتل محترف يجيد مثل تلك الأمور بحكم التعود وهؤلاء يتميزون بشك فطرى وحذرمولود فيهم بالغريزة، ولديهم حس أمنى عالٍ وإن كانوا يتظاهرون باللامبالاة فهو يعرف أنها انفعالات كاذبة، إنه أكثر منه توترًا وحرصًا على نجاح العملية ولو قدر - في أسوأ الظروف - أن العملية فشلت وقبض عليه فمن السهل أن ينكر معرفته به تمامًا، إن المقابلات كلها في شقته بالمعادى ..لاشهود إذن يثبتون علاقته بكل الأحداث، وبالنسبة للصحفى الذى أرسله ليتفق مع شكل ويطلب حضوره فهذا لا خوف من جهته لأنه الآن خارج البلاد في مهمة عمل رسمية قد تستغرق شهرين، وعلى كل حال يستطيع التنصل من الأمر في لحظة واحدة بسهولة ..يستطيع أن يقفز من السفينة الغارقة.

*****

أمسكت أميرة دميتها الصغيرة ومشطت شعرها بمشط من ذهب وألبستها فستانًا جديدًا ثم وضعت لها وردة صغيرة في شعرها ورشت على فستناها من زجاجة العطر الحمراء التي تدخرها للمناسبات, ثم وضعت الدمية الصغيرة في سريرها الفضى وشدت فوقها الستائر الحريرية البيضاء وهى تحكى لها قصة الأميرة (ست الملاح) مع (الأشكيف) حيث ست الملاح واحدة من أجمل فتيات عالم الخيال، لها عيون سوداء كحيلة وشعر طويل فاحم ناعم مسترسل يقبل الأرض تحت قدميها، ولها قوام ملفوف وضع الخالق فيه كل أسرار الجمال ..ثم ينقض الأشكيف - وهو العفريت الذى عشقها من أول نظرة - يقتحم حياتها ليأخذها معه

يختطفها ويذهب بها بعيدًا في قصر ناءٍ فوق قمة جبل السحاب.. القصر بعيد لم يعرف طريقه أنس ولا جان ولكن فارس الأحلام الذى يطير بالحصان الأبنوسي المسحور يعرف طريقها ويخلصها من شر الإشكيف ويقتله ثم تركب معه الحصان الأبنوس فيحلقان معًا في عالم الأحلام.. تروى أميرة لدميتها هذه الحكاية لأنها تفتقد من يحكى لها لذا فهى تمارس الأمومة مع الدمية لتغطى شعورًا بالفقد يملأ كيانها.. وهكذا نامت الدمية في سلام على أنغام صوت أميرة الدافئ الحنون، ونظرت أميرة إلى نفسها وقد تحولت إلى نفس هيئة الأميرة ست الملاح ولكن من دون حصان يطير، فقط حلقت بطائرة ورقية صغيرة فى سماء بعيدة عن الكون ..تركت مشكلاتها الصغيرة هناك في الأرض وانطلقت.. كم كانت تحلم وكم رغبت وكم تمنت إلا أنها لم تنل ماتريد.. أحلامها لاتتحقق أبدًا وكأنما ولدت لكى تحلم فقط , ولكنها هذه المرة تشعر أن احلامها ستولد بين يديها.. تطيربخفة فراشة ترى أحلام طفلة صغيرة هبطت على كوكب ملئ بالفراشات المشابهة، لاتوجد شمس بل قمران أحدهما فضى اللون والآخر بنفسجي حلقت فى سماء بنفسجية اللون، كل السحب تسقط أمطارًا بنفسحية باهتة، ونسيت أميرة كل شرور العالم، نسيت شرورها وأحقادها وكراهيتها، هبطت في النهر واغتسلت أزالت كل الأدران التي علقت بملابسها وبجسدها ثم شربت فتطهرت.. غسلت نفسها من الإثم وقلبها من الشر والحقد، وخرجت من النهر وهى تشعر براحة كبرى لاتعلم مصدرها ولكنها تسبب لها السعادةو استلقت على العشب ونظرت للسماء بهدوء حالم ..رغم الوحدة لاتشعر بالوحدة ..سمعت أنفاسًا

تقترب منها فلم تجفل وكأنها في دنيا لم يعرف طريقها الخوف، التفتت إليه بهدوء وابتسمت.. جلس بجوارها.. شخص لاتعرفه.. ربما هو العريس! شخص طويل القامة يقترب منها ويقترب، انتابتها فرحة كبرى لأن حلمها يوشك أن يتحقق أخيرا، وجدته فارس الأحلام ولكن لايوجد معه حصان أبيض ..ربما تركه خارج باب الجنة وبالفعل تسمع صهيله فيسعد قلبها وتسأله هل حصانك بأجنحة؟ فيجيبها بالإيجاب ثم يمسك بيديها بحنان ويجريان سويًا على بساط العشب الأخضر ويحضر الحصان فيطيران معًا ويخفق بأجنحته يعلو ويهبط , تعيش السعادة كأنها لم تحزن يومًا ثم يهبطان أسفل شجرة تفاح فيقطف واحدة ثم يغسلها من نهر ظهر فجأة تحت قدميها فتأكلها وتعطيه النصف الآخر.. يعبثان بالماء معا يتبلل شعرها فتستلقى على ظهرها تلهث من الجرى ومن الضحك ومن السعادة ومن الحب ..تنظر إليه فجأة فتجد ملامحه بدأت في التغير وتشعر بغيمة سوداء تحجب نور القمر ..خنقها الخوف ومازال هذا الشخص يقترب وفجأة.. فتحت عيناها فرأته وصرخت ..وضع يده على فمها ويده الأخرى على عنقها ولكنها عضته بقوة فأبعد كلتيهما وكانت الصرخة من نصيبه، وقبل أن تنطلق صرخاتها كان قد قفز من الشباك المفتوح لينزل على مواسير المياه بخفة قرد ثم يبتلعه ظلام قبل الفجر.. وقفت أميرة فى غرفتها تحدق فى الظلام ..هذا اللص كان يريد قتلها.. خنقها.. فمن يكون؟ هل حرضه شخص ما أم أنه أراد سرقتها ولما استيقظت قرر قتلها كى لاينكشف أمره؟.. مازالت ترتجف ..هى لم تعادى أحدًا لكى يستأجر من يقتلها.. لم تعادى أحدًا ولم

تهدد بالقتل من قبل ..أم أنها هُددت ؟!..وهنا تذكرته....
محمود السكرى

*****

انتفض محمود عندما اقتحم شكل المكان وهو يلهث وقد امتقع وجهه، خفق قلب محمود واندفع يسأله بلهفة قلقة:

- ماذا فعلت ؟

رد شكل بصوت متقطع الأنفاس:

- كله تمام يابيه

امتزجت عدة أحاسيس في نفس محمود، اختلط الفرح بالحزن بالتوتر بالخوف وهو يسأله متخاذلًا وقد انهار على الكرسي:

- هل تأكدت أنها ماتت؟

رد شكل بنبرة ثقة كاذبة:

- طبعا يابيه .. وحك شَكل أنفه في حركة عصبية سريعة وأضاف :

- بالمناسبة يابيه وجدت الطريق ممهدًا فتخلصت من الجثة بمعرفتي لكى يظن الناس أنها سافرت عندما يلاحظون غيابها.

حدق محمود في وجهه كأنما يريد التأكد ثم أخرج رزمة من المال ألقاها إليه بلا مبالاة:

- وهذا هو ما تبقى من حقك وفوقه مبلغ إضافى مكافأة، زاغت عينا شكل وهو ينظر لأوراق المال شاردًا..هو يكذب ويعلم أنه لم يقتلها بل أن أسنانها مازالت تؤلم يده، ولكنه يرجح أنها ستهرب لتعيش فى مكان آخر بعدما حدث لها خاصة أنه عرف من أحد أصدقاءه فى المنطقة التى تقطن بها انها تعيش وحيدة، فإذا اختفت - وهذا مايقدره - فلن يفرق هذا شيئًا بالنسبة لمحمود بيه.

وبهذا تكون العملية نجحت والصفقة تمت..قالها شكل لنفسه وهو يخرج من الشقة كأنه يهرب قبل أن يرجع محمود في رأيه ويسحب هبته الكبيرة أو يعرف كذبه وفى ذلك خسارة له أى خسارة، نسى محمود نفسه وهو ينظر بشرود للباب الذى نسيه شكل مفتوحًا ..إنه لايعرف إن كان فرحًا لتخلصه من أميرة التي سببت له مصدر إزعاج وخطر لم يجرب مثله في عمره أم يحزن لأن هناك جزء صغير جدًا في قلبه كان يميل لها.. لايعلم حقيقة مشاعره ولكن كل مايعلمه أنها ماتت وأن طريقه أصبح ممهدا بلا أية عقبات..

وكان تقدير اللص صحيحًا فقد لملمت أميرة أشياءها وأوراقها الهامة وأغلقت الشقة هاربة نحو محطة القطار وتركته يأخذها إلى سوهاج حيث يعيش عمها، وطوال الرحلة كانت تفكر فى القصة التى ستختلقها لتبرر لعمها تركها لبيتها فى مثل هذا الوقت، ولم تعدم وسيلة تقنع عمها بها أن تقيم معهم بعدما تعرض لها (أولاد الحرام) بالسوء وتحرشوا بها .. وبهذا ضمنت إقامة مفتوحة آمنة وأثناء إقامتها في سوهاج في بيت عمها وبعد تحويل ملفها للكلية هناك بحثت لها عن عمل فقط لكى لاتكون عبئًا على أحد ولكى لاترى نظرات الشفقة فى عينى زوجة عمها فعملت في مكتبة قصر الثقافة، وبهذا ابتعدت أميرة – مؤقتًا - عن الأحداث ..ابتعدت عن محمود السكرى وعن سالى وابتعدت من قبلهما عن الدكتور أحمد، واستيقظ فى قلبها هناك شئ مؤلم نسيت وجوده منذ أن كانت طفلة.. شئ اسمه الضمير..كان معظم أيام حياتها نائمًا ولم يستيقظ إلا فى مرات معدودة كانت هذه إحداها.. ترى هل ماحدث لها سببه ذنب الدكتور أحمد الصاوى ؟

نعم إنه ذنب هذا الإنسان البرئ النبيل الذى قتلت سمعته وقتلت حبه.. إذن فهى تستحق القتل ألف مرة ..ولكن الذى يستحق القتل ملايين المرات هو محمود ..هذا ما استقرت عليه أميرة فى النهاية ثم تركت فكرة الانتقام في عقلها تنمو.. وتنمو

*****

الفصل الخامس

عُلا

قّلب الدكتور أحمد فى صفحات رواية كان يقرأها بلا تركيز وركض بعينيه فى متاهات اللون الأبيض متعثرًا بنقاط الحبر التى تتشابك حينًا وتفترق حينا، تتشابك لتعطى معنى لكلمة صاغها كاتب فى لحظة حزن ثم تفترق حين يحس القلم بسعادة كاتبه فيجرى منطلقًا على المساحات البيضاء بعد أن يرفض الكتابة على السطور لأنها تقيده وتشعره بالحتمية، وهو يريد الانطلاق ..العبث ..الفوضى.. قلب صفحة لايدرى إن كانت سابقة أم تالية ونظر بشرود للثلاث نجمات السوداء التى تعلن نهاية الفصل فسأل نفسه هل الكاتب يعنى نهاية الفصل أم نهاية الرواية؟ إن الفصل انتهى ولكن الرواية لم تنته بالتأكيد.. مثل حياتنا.. فصول من رواية.. إن تراصّ علامات ثلاث يعنى إنهاء الفصل ولكن قبل العلامات هناك مساحة بيضاء وبعدها أيضًا.. مساحات تعنى إمكانية المرور من هنا واستكمال حياتك.. أغلق عينيه وتنهد ثم استرخى تمامًا فى مقعده وهو يشعر باللاشى.. الخواء

- عدت للشرود مرة أخرى..

كانت علا زوجته دخلت غرفة المكتب فرأته ممسكًا بكتاب يحدق فيه و لايبدو أنه يقرأه

رفع عينان محبتان نحوها والتقط كفيها ثم أجلسها وهو يضمها سائلًا إياها:

- متى دخلت وكيف لم ألحظ وجودك؟

ردت ببساطتها التى يعشقها:

- لأنك كنت شاردًا والباب مفتوح فلم يصدر صوتًا.. فيم كان شرودك ؟

رد ببسمته التى اعتادت عليها كجزء من شخصيته ..من روحه:
- كنت أتذكر حينما رأيتك أول مرة
احتضنته بحب قائلة فى نبرة حالمة:
- هل تذكر؟ كانت أيام جميلة ..أجمل أيام حياتى
.ثم طبعت على خده قبلة محبة ونهضت لتعد له القهوة
فعاد لشروده لأول يوم رآها فيه ..وتذكر
*****

منذ ترك الكلية وترك سالى - أم هى التى تركته؟ - ..لايهم فالنتيجة واحدة، اضطر أن يرحل بعيدًا فعمل بإحدى كليات الإعلام بجامعة من جامعات الأقاليم بعيدًا عن القاهرة وحديثها وإشاعاتها، وأصر الدكتور أحمد أن ينعزل على نفسه بعيًدا لكى يغزل ثوب جراحه بخيوط الشجن.. وكما أقنع نفسه تمامًا فالحياة هكذا أفضل بلا أية علاقات من أى نوع.. اكتفى بالتنقل بين سكنه وكليته وانشغل بمحاضراته لايلتفت لأحد ولايريد أن يلتفت إليه أحد أو يعرفه أى إنسان وكان سعيدًا بوضعه أوهومطمئن بحالة السكون التى يعيشها، لم يكن يعلم أن الأخبار تنتقل بسرعة فى هذه الجامعة شأنها شأن جامعة القاهرة تمامًا، لم يعلم أنهم سمعوا همهمة عن حكايته التى انتقل بسببها وتحول الهمس الخافت لصوت مسموع، وكل من يعرف طالبًا فى إعلام القاهرة كان يسأله عن الاسم وعن الحكاية وعن السبب ..حتى أساتذة الجامعة سألوا زملاءهم وانتقلت القصة بأكملها وعبرت المسافات لتتجسد أمامه فى تمثال قبيح اسمه الفضيحة ... أين يذهب إذن ؟ لم يعد مجديًا له أن يحاول الانتقال للعمل فى أى جامعة فى مصر ماذا إذن عن التجاهل؟ نعم التجاهل والحياة بصورة طبيعية

ولندعهم ينسون مع الوقت، إن حكايته لا تتعدى قصة حب بين أستاذ وطالبة قابلها خارج الجامعة وأمسك يدها هذا كل شئ ..فماذا عن الحكايات المشينة التى يقصها الطلاب وبعض وسائل الإعلام عن أساتذة مع طالبات أو زميلات ؟ بعضها فضائح جنسية .. فليحمد الله أن حكايته بسيطة ولم تتطرق لهذه الناحية، ولكن من أدراه أنها لم تتطرق ولم تتطور؟ من أين له أن يعلم إلى أى حد وصلت الشائعات؟ وكيف يثق أنهم لم يزيدوا على أحداث الحكاية أحداثًا لم تقع؟ ربما نقلوها للشقق المفروشة ..اللعنة على أميرة وعلى الطلاب وعلى كل شئ ..لماذا رآها وقابلها وحدثها وساعدها؟ لقد كان يعيش حياة هادئة فى عمله ومع سالى كل ذلك ضاع ..ضاع للأبد ..كاد يجن وهو يتذكر كل ماحدث له فى الفترة القصيرة الماضية.. أحداث لم تمر به طوال حياته.. وبينما يسير فى أروقة الكلية شاردًا سمع الصوت الخفيض:

- صباح الخير يا دكتور أحمد

«لا... ليس ثانية» هكذا قال لنفسه وهو يتأمل محدثته الجميلة.. كلهن جميلات.. فاتنات خادعات.. لكن هذه تختلف فى شكلها عن كل من رآهن قبل ذلك، قامتها قصيرة مثل سالى ووجهها مستطيل مثل أميرة أما شعرها فلا يعلم لونه لأنها محجبة.. عيونها بنية اللون توقفت عند نظراته لشفتيها فانطلقت منها ضحكة قصيرة رائعة الوقع موسيقية الصدى

- ماذا هناك يادكتور؟ كنت أقول صباح الخير

انتبه لحظتها أنه لم يرد تحيتها وأنه يحدق فيها بغرابة فابتسم معتذرًا ولم يدر ما يقول إلى أن انتشلته من حيرته بلهجتها الباسمة الودود:

- اسمى علا.. زميلتك فى القسم

عجبًا كيف لم يرها؟ ..تذكر الآن أنه منغلق على نفسه حتى أنه لم ينتبه لوجود هذه المخلوقة الرائعة زميلة له بنفس القسم! لاحظت شروده المتكرر فانتظرت لحظات ربما يرد حديثها إلى أن جاء صوته هادئًا ..حنونًا ..مضطربًا:

- أهلا سيدة علا.. أنا متأسف لم ألحظ وجودك قبل ذلك فأنا كما تعلمين لا أختلط بأى أحد

- أولًا أنا آنسة ولست (سيدة) ..ومسألة أنك لاتختلط بأحد هذه شى معروف وملاحظ لايحتاج منك إلى شرح

فكل الزملاء يعلمون ذلك يادكتور، ودون أن تعطيه فرصة للتعجب أو الرد أكملت قائلة:

- أنا أرغب بمناقشة موضوع ما فى بعض المراجع الإنجليزية مع حضرتك لو تسمحلى

«بالتاكيد أسمح ..لابد أن أسمح»..إن هذه الفتاة تستحق أن يثق فيها، لايعلم السبب ولكنه يعتقد أنها جديرة بالثقة.. وهكذا بدأت علا تحتل من عالمه المغلق مساحات أكبر وبدأت الزوايا الضيقة تتسع والنوافذ المغلقة في نفسه تتفتح، وبفرشاة من مرحها الهادئ لونت علا حياته بأطياف من البهجة البنفسجية والأمل الاخضروالثقة الزرقاء الهادئة والحب الوردى، اكتسب معها مزيدًا من الثقة وبدأت شخصيته تتبدل ..خلع عباءة الخجل المرضى الذى تركته سالى بإهمال وكثيرًا ما سخرت منه أميره، ولكن علااستطاعت إقناعه بخلع العباءة بذكاء الأنثى التى تعلم أن الرجل الذى أمامها يعانى، وتعلم كيف تنهى معاناته.. تغلغل أحمد فى شخصيتها فبدأ يكتشف كل يوم أرضًا جديدة مليئة بكنوز الحياة، وسأل أحمد نفسه لماذا وثق فيها ومال إليها؟ .. ولم يجد الإجابة.

*****

فى إحدى جلساتهم الهادئة على كافيتريا مطلة على النيل حكى الدكتور أحمد لعلا أبعاد علاقته بسالى بالتفصيل، ولم تقاطعه بل جعلته يروى بلاتوقف، كان يتكلم بسرعة كأنه يخاف ألا يستطيع الانتهاء.. وطالت الجلسة واستمعت إليه ..لمست جراحه برقة وعالجته بهدوء وثقة ..بدأ يميل إليها فاحتضنته ..يثق فيها فاحتوته، أصبح الدكتور أحمد شخص آخر مقبل على الحياة ..مقبل على زملاءه فى العمل، وتوطدت علاقته بالجميع لأنه كف عن الثقة بأى شخص إلا بعد التروى والتأمل، لم يتسرع فى قراراته فلم يخطئ، ورأت علا أنه بدأ يلمح لها بحبه فأسعدها ذلك ولكنها قررت الانتظار لاعطاءه فرصة لتحديد موقفه والتأكد من مشاعره..قدمت طلب إجازة لمدة أسبوعين وقررت الانقطاع عنه لترى إن كان يحبها فعلًا أم هو شعور بالامتنان لأنها ساعدته؟ ..هل أحبها أم اعتاد وجودها؟ ..أهو حب أم ألفة ؟.. وفى أول يوم من إجازتها سمعت صوته الحبيب يسألها عما هنالك ويطلب أن يراها... إذن فهو لم يصبر على ابتعادها عنه إلا بضع ساعات! كم تحبه ..وتأنقت ولقيته فى نفس الكازينو على النيل، وفاجأها بطلب يدها ثم عاش معها أجمل فترة خطوبة انتهت بالزواج، لم تلمح علا أبدًا فى أى يوم من الأيام - مجرد تلميح - لحكايته مع سالى أو اميرة، كانت تريد أن تنساهما وتجعله ينساهما وقد نجحت، وجاءته علا فى يوم من الأيام بخبر جميل أسعده كثيرًا.. إن إحدى الجامعات الإماراتية تطلب أساتذة جامعيين من نفس تخصصه فلم لايتقدم بطلب؟ أجابها بابتسامته المعتادة:

- وهل سيتركون كل المتقدمين بخبراتهم الطويلة ويختارونى أنا؟

أجابته بثقة صادقة :

- ولكنك موهوب حقيقى وأستاذ متميز وستمثل لهم إضافة قوية ..فقط تقدم بأوراقك

وتقدم أحمد باوراقه وفوجئ بقبول طلبه، وسافر للإمارات مع زوجته ومرت ثلاثة أعوام ثم عادوا إلى مصر واتخذا إحدى الفيلات فى الزمالك سكنًا لهما، ثم عاد إلى عمله القديم ومعه زوجته بكلية الإعلام جامعة القاهرة فوجد الناس قد نسوا حكايته وعادت الحياة لانتظامها ..فقط فى الجمعة الماضية ولأول مرة بعد مرور خمس سنوات ..قابلها..

*****

النادى متسع للجلوس مع الأصدقاء أوممارسة الرياضة والأنشطة الترفيهية، وهو كذلك مكان للجلوس فيه وحيدًا تجتر ذكرياتك الماضية وتتذكر أحزانك ..إحباطاتك ومخاوفك وخجلك المرضى.. وتنسي سالى.. إن علا استطاعت أن تجمع أجزاء قصة حياتك القديمة وتضعها في جب مهجور وتغلق عليها بصخرة من حبها وحنانها، لم تدع لك فرصة للندم ولم تدع لك فراغًا للتذكر، إن التذكر يحتاج لفراغ والحزن أيضا يحتاج لفراغ.. لذهن صاف ..اليوم - ولأول مرة منذ عرفت علا - تجلس وحيدًا بدونها، قالت أنها ستتأخر قليلًا في زيارة لإحدى صديقاتها ووعدتك أن تلحق بك فى النادى ومازالت تنتظرها، تتأمل الطاولات المحيطة بك ..على كل منها يجلس واحد مثلك ينتظر زوجته أو خطيبته، بعضهم ينتظر صديقته.. بعضهم الآخر لاينتظر أحدًا ..هناك من كفّ عن الانتظار منذ زمن ..حمام السباحة يعج بالسابحين والسابحات على اختلاف أعمارهم ، عالم من المرح والانطلاق، رجل بدين

يسقط في الماء فيثير موجة عالية من الصخب وعاصفة من الضحك تنتزع منك ضحكة رغمًا عنك فتضحك لطرافة الموقف، وبينما تغرق في تأملاتك تراها.. عرفتها من أول وهلة رغم النظارة السوداء إلا أنها هي.. شلال الذهب على كتفيها علامة مميزة لم تجدها في أنثى أخرى .. ودون وعى منك تقف وعندما تراك تخلع نظارتها فتجرفك موجة عارمة من مشاعر متباينة تدخل الجنة الخضراء، وبلا وعى تندفع وبلا روح تندفع هى فتلتقيا في منتصف الطريق ..وكالعادة لم تكن أنت البادئ بل هي:

- كيف حالك يا أحمد؟

وكأنما تذكرت ارتفاع السور بينهما فاستدركت بحرج

- أقصد يادكتور أحمد

انتزع بعض الأحرف من صدره ووضعها على شفتيه عنوة لتخرج همهمة خافتة فهمت منها:

- كيف حالك ياسالى؟

رفعت عينا حائرة إلي عينيه المضطربتين فقرأت فيهما:

«كم اشتقت إليك»

بادرت بالهجوم لتدير كفة الحوار مثلما تريد خوفًا من العواقب:

- أين كنت في الفترة الماضية وأين تعمل الآن؟

لم يكن يرغب في الرد لكى لايضيع الوقت في شيء غير التنزه في رياض عينيها الخضراء، ولكنه أجابها بعبارات قصيرة عن رحلته للإمارات وعودته لمصر وعمله بجامعة القاهرة

في لامبالاة زائفة سألته وهى تعبث بنظارتها:

- هل تزوجت؟

«تريد أن تعرف هل تزوجت أم لا؟ لتعرف إن كنت مازلت

أحبها أم أن ساعة حياتى توقفت عقاربها عن الدوران عند تلك اللحظة التي طردتنى فيها من بيتها وانسحبت من رياض جنتها الخضراء»

*****

«سالى لاتصدقى مايقال أنا مظلوم خُدعت أميرة خدعتنى»

*****

رأته سالى صامتًا فتحدثت - دون أن يسألها - عن زواجها من محمود السكرى رئيس تحرير جريدة (.......) وعن وفاة والدها

وهو يستمع إليها بغير وعى وعقله يسترجع آخر حوار بينهما في شجن لم يزل نابضًا في أعماقه

*****

«ياالإنسانيتك وقلبك المرهف!»

*****

- ولكنك لم تقل لى يادكتور متى عدت للعمل في جامعة القاهرة ؟ .. قطعت سيل ذكرياته بعبارتها فأجابها:

- لقد عدت مؤخرًا للعمل (مع زوجتى)..

تعمد الضغط على الكلمة الأخيرة ليرى ردة فعلها ولكنه كان واهمًا، فالنساء أكثر المخلوقات تحكمًا في أعصابهن.. إن الأنثى تظهر وتخفى ماتريد وقتما تريد عمن تريد، فهيهات أن تصل للشاطئ أبدًا.. ستموت غريقا

*****

«كل تصرفاتك عفوية إنسانية صادقة النية ..ما أطيبك وما أقسى العالم»

*****

طوفت به سالى في طرقات عجز عن مجاراتها فيها، وهى تحكى له باقتضاب عن ظروف زواجها وكانت تتعمد أن تضع الإيحاءات في كلامها لعله يعثر عليها كمن يضع الرسالة في زجاجة ويلقيها في عرض البحر ..قالت (بعينيها):
«إننى لا أحب زوجى ولا أشعربالسعادة معه وكم أخطأت إذ تركتنى وسط بحر الحيرة والعذاب، كان عليك أن تنتظر وألا تغضب ..أن تتفهم جرحهى ولا تتركنى للسنوات لتأكلنى من بعدك»
تاه في مروج عينيها وهو يهتف دونما صوت:
« إننى أيضًا أريد العودة إليك ..لقد غفرت لك ما قلت وما فعلت»
سمعها تتمتم بشئ ما جعله ينتبه قليلًا لما تقول واندهش ..إنها تقول شيئًا ما عن علاقتهما التي كانت محتومة الفشل، و أنها غير نادمة على تركه فهى لم تعرف الراحة إلا بعد أن افترقا ..وطُرد مرة أخرى من الجنة الخضراء

*****

«الموضوع انتهى يادكتور وتقدر حضرتك تتفضل»

*****

انسحب بسرعة ولملم شتاته قائلا بلهجة ديبلوماسية رقيقة التهذيب:
- يجب أن أنصرف الآن فزوجتى تنتظرنى
ضغط حروف كلمة زوجتى وكأنه يوجه لها خنجرًا في صدرها فلم تنتظر وانصرفت بدورها في الاتجاه المقابل وكأنما كتب عليهما ألا يسيرا فى طريق واحد أبدًا..
داس على قلبه مع كل خطوة فأدماه.. ولكنه عاهده أنه سينساها تمامًا ولن يكون فى حياته إلا اسم من ثلاثة حروف ..علا

*****

اعتادت أميرة ان تتأنق فى ملابسها رغم ضعف المرتب الذى تتقاضاه من عملها فى مكتبة قصر الثقافة بسوهاج ..

وكان ابن عمها رائف قد تكفل بتحويل ملفها لجامعة سوهاج، بالإضافة إلى مساعدتها في استذكار دروسها لاجتياز سنتها الأخيرة بحماسة صادقة عزت سببها لشهامته الفطرية كصعيدى ورابطة الدم كابن عمها، وتجاهلت حقيقة مشاعره التي تعرفها تمامًا.. ولكنه طموحها الذى يقف جبلًا في طريق كل من يريد الاقتراب منها

لم تكن كذلك تلتفت لنظرات الإعجاب المتناثرة حولها فى كل مكان من زملاء العمل أو بعض العملاء الذين يريدون استعارة الكتب من المكتبة .. ترى أن حلمها أكبر من أن تتزوج شخصًا عاديًا ممن تقابلهم فى كل مكان، تريد رجلًا يناسبها ويناسب آمالها وماتستحق.. رجل يستحق جمالها وفتنتها، رجل لا تدرى أين تجده ولاتدرى إن كانت ستجده أم أنها ستضطر للقبول بأول طارق للباب قد يكون مناسبًا ..ترى أميرة أنها رزقت من اسمها نصيبًا كبيرًا فهى ملكة متوجة على عرش الأنوثة، أميرة تضع على رأسها تاج الجمال المحلى بجواهر الفتنة.. شخص واحد حلمت به ومعه وله ..شخص واحد تمنته ..تمنت أن تعطيه كل هذا ولكنه كان يفكربأخرى ويحلم بها.. والأدهى أنها ساعدته على ذلك بوحى من حقدها وغيرتها.. شخص واحد يحمل نفس صفاتها فكلاهما طموح ذكى وكلاهما ولد فقيرًا وتمرد على ظروفه حتى يصل إلى القمة العالية ..جدًا.. شخص يدعى محمود السكرى ، ولكن هل أحبته؟ ربما فهى غير متأكدة تمامًا.. ربما أحبت فيه أنه يشبهها، أحبت طموحه.. لم تعد متأكدة من شئ

الشئ الوحيد الذى تثق به أنها لن تتركه حتى تهدم المعبد فوق رأسه.. هذا مايشغلها الآن ..أن تنتقم، ولكنها لاتستطيع السفرإلى القاهرة حاليًا حتى يزول الخطر تمامًا .. لاتستطيع أن تعود لنفس المنطقة التى تعرضت فيها لمحاولة قتل خسيسة.. من يدريها هل علم بهروبها أم لا؟ من يدريها أنه لم يقلب الدنيا بعد هروبها بحثا عنها؟ ..أفزعها الخاطر الأخير فقررت تأجيل مشروع الانتقام فى الفترة الحالية ..تأجيله تمامًا

*****

كتب ..كتب ..كتب... كل ماحولها كتب.. كتب على الطاولات بعضها مفتوح يقرأ رواد المكتبة منه وبعضها مغلق وضعوه وانصرفوا أو وضعوه وذهبوا لجلب المزيد، بعضها نائم فوق الأرفف لم يوقظه أحد من فترة طويلة حتى عرف الغبار طريقه إليه ..ومطلوب منها مع زملاءها أن تعيد ترتيب كل تلك الفوضى قبل رحيلهم.. وظيفة شاقة ولكنها ممتعة أيضا، صحيح أنها تتعب وتعود لدارعمها مرهقة ولكنها وظيفة ولها مرتب، كما ان عملها بالمكتبة وفر لها معينًا لاينضب من الروايات والقصص التى تقضى معها أجمل الأوقات، تطوف بها عالم الأدب الشيق متنزهة بين قصص الحب الرومانسية أو تسبح فى بحور الشعر، تركض فى قصص الإثارة والجريمة أو ترتجف فى قصص الرعب ..أحيانًا تحلق فى قصص الخيال العلمى.. كانت تقرأ باستمتاع فتقضى وقتا جميلا وتقضي على فراغها ومللها.. ومخاوفها.. عادت من المكتبة بعد انتهاء ورديتها فوجدت رائف ابن عمها موظف البريد، تبسم بخجل كعادته كلما رآها وترك الصالة ودخل غرفته، أحبت أميرة خجله

وهى المنطلقة الجريئة أحبت خجله مثلما احبت خجل الدكتور أحمد فالخجل دائمًا يرتبط بالبراءة والطهارة ..يرتبط بالنقاء.. أحبت خجل رائف لأن كل من حولها يلتهمها بأنيابه إلا هو رغم أنه يريدها وقال ذلك بوضوح بل أن عرضه بالزواج منها مازال قائمًا حتى الآن وبرغم ذلك لم يحاول أن يغازلها أبدًا.. وعلى ضوء هذه الخواطر الأخيرة بدأت تنظر للأمور من زاوية أخرى، إن رائف ليس سيئًا أبدًا وهو وسيم كذلك فلم لا؟ .. وعمله بوظيفة حكومية ثابته يوفر له مكانة محترمة ودخلًا منتظمًا كل شهر, فما الذى يمنع؟ .. ثم أنه لايملك تجارب سابقة وهذا جيد.. خجول لايختلط بالنساء وهذا جميل.. يريدها ويحبها وهذا رائع.. وبدأ شئ جديد يولد فى حياتها.. شئ يجعلها تفكر وتحلم ولكنها أحلام واقعية.. أحلام قابلة للتحقيق ..أحلام لها أبعاد طول وعرض وارتفاع, نابعة من الأرض وليست من زحل ..شئ جعلها أكثر سعادة وقناعة.. شئ اسمه الأمل..

- تعالى يا أميرة

ناداها عمها فى حنان أبوى افتقدته وهى بعد طفلة, أجلسها بجانبه ثم سحب نفسًا عميقا من (الجوزة) أغرق وجهها بدخانه قبل أن يسألها بعد سعاله:

- ماحال العمل والدراسة معك؟

- الحمد لله ياعمى بخير

قال لها بحذر من أوشك على اليأس ولكنه يصرعلى التمسك ببقايا الأمل :

- وما رأيك في الموضوع الذى عرضته عليك؟

بخبث حذر سألته:

- أى موضوع؟

وبرغم أنه لم يكن متعلمًا فقد فهم أنها تتجاهل وربما تتهرب من سؤاله، هو رجل خبر الحياة ويفهم حركات الإناث هذه جيدًا ويعلم أنهن يتمنعن وهن الراغبات, فابتسم بفهم وعرف أنها تتدلل فسألها بوضوح كى لايدع لها فرصة للهرب:

- رائف يريد الزواج منك فماذا تقولين ؟

ولأول مرة فى حياتها تشعر بخجل لاتعلم مصدره ..عجزت عن رفع عينيها إلى عمها وهى تقول بصوت متقطع:

- قلت لحضرتك أننى سأفكر ياعمى

بصبر سألها ثانية:

- إلى متى ؟

ولم ترد.. لم تستطع أولم ترغب بالرد.. وتمنت أن يفهم وحده ..وفهم

*****

لم يكن حفل زفاف أميرة أسطوريًا فى أحد الفنادق العائمة كما حلمت طوال عمرها ولكنها تكاد تطير من السعادة, أما رائف فقد حلق فى السماء بالفعل وهو يحمد الله أنها وافقت أخيرًا، واستجابت كذلك لرغبة عمها أن يتم الزفاف مباشرة بلا خطبة تمتد لعام أو عامين فشقة رائف في سوهاج مؤثثة وجاهزة ولاينقصها غيرالعروس فقط فلم الانتظار؟ ولم تحدث أميرة زوجها عن حياتها السابقة أبدًا ولا عن علاقتها بمحمود السكرى وحكاية الدكتور أحمد وسالى ، وكأنها قررت أن تدفن الماضى تمامًا مع كل أخطائها وتبدأ صفحة جديدة متصالحة مع نفسها وضميرها ومع العالم كله، وراجعت الملف كما تفعل مع ملفات المكتبة.. عملت (جردًا) لتتأكد أنه مكتمل لاينقصه شئ، ولكنها لم تنتقم بعد.. قال لها ضميرها أن تنسي

الماضى وتدع الانتقام وأن (المسامح كريم) وكادت تركن لهذا المنطق لولا أن طفا على السطح منطق آخر مختلف تمامًا يطالبها بفضح محمود السكرى لدى زوجته لكى لاتعيش مخدوعة مع رجل مثل هذا, وأقنعها هذا الصوت أن هذا التصرف ليس انتقامًا ولكنه قصاص عادل، بل ربما يكون تكفيًرا عما حدث منها فى حق هذه الفتاة المسكينة.. تصارع الرأيان داخلها ولم تصل لحل ترضى به الطرفين واستمرت المعركة داخلها بين قلبها وقلبها -فعقلها لا دخل له بالأمر- تريد الانتقام ممن أحبته وتريد الانتقام لنفسها ..أم تريد أن تهدم حياة سالى مرة أخرى مثلما هدمتها من قبل ؟ لا تعلم وتنتظر الإجابة لكى تضع لمستها النهائية وقرارها الأخير ..لكى تغلق هذا الملف ..نهائيًا

*****

الفصل السادس

الماضى يعود

لم يكن محمود يعلم أن أميرة مازالت حية وأنها تريد الانتقام، لم يكن يعرف أن شَكل خدعه وكذب عليه وكان يظن أن النار انطفأت وتكوم فوقها جبل من الرماد، ولم ير تحت الرماد تلك الشرارة الكفيلة بإحراق حياته كلها، شرارة تدعى أميرة.. ولكن زوجته سالى كانت تعلم، سالى التي بدأت تكرهه كراهية عميقة وتريد أن تسبر أغواره فلا تستطيع يعاملها بحذرشديد ويجيد إخفاء أسراره، وبينما سالى جالسة في مكتبها تعمل في مجلتها الشهيرة إذ أنبأتها السكرتيرة بمن يريد مقابلتها لأمر هام..اعتادت سالى بصفتها مدير التحريرعلى طلبات المقابلة لأسباب عديدة من بينها حالات إنسانية لبعض السيدات اللائى يردن أن تصل مشاكلهن للمسئولين ، أو طلب إعالة سيدة مات زوجها أو مطلقة أو أى شيء على هذا النحو, أحيانا كانت طالبة تريد التدريب أو فتاة تبحث عن عمل.. أجزمت أنها انثى لأنها لم تر رجالًا في مكتب المجلة إلا نادرا -بخلاف عم إسماعيل الفراش- ودخلت الفتاة إلى المكتب ورفعت سالى إليها عينان متسائلتان تحملان التساؤل ثم ألقت بالتساؤل لتحمل بدلا منه الدهشة ثم طرحت الدهشة لترتدى زى الغضب ..إنها أميرة.. أميرة التي بدأ معها كل شيء وانتهى معها أيضًا ..أميرة التي خانها الدكتور أحمد معها ..أميرة القاسية الشريرة الفاتنة ..أميرة الغجرية ..يالوقاحتها! وبكل مايعتمل في نفسها من استهجان غاضب سألتها وكأنها تسبها:

-هل تجدين في نفسك من الجراة أن تأتى إلى هنا ؟

كان عقل سالى يغلى غضبا وقلبها يبكى ألمًا وهى تتذكر

هذه الملامح الجميلة القاسية التي أودت بقصة حبها.. صاحبة الفيديو الشهير التي فرقت بينها وبين الدكتور أحمد ولكن أميرة تماسكت وقالت لها بسرعة :

- لو أنك سمعتنى لعرفت أن كل ماقيل عنى كذب وافتراء وأنى أعرف من الأسرار ما يهمك معرفته عن الدكتور أحمد ...وعن زوجك

كانت أميرة تتكلم بسرعة شديدة كى لاتعطى لسالى فرصة لطردها وتحاول أن تدخل التساؤل وفضول الأنثى فيحلان محل الغضب في عقلها وبالفعل نجحت , ولعل قلب سالى تمنى أن تكون هذه الفتاة على حق, تمنى أن تقول أنها لم تُخدع والدكتور أحمد لم يخنها وهناك خدعة ما.. سألتها سالى فى تخاذل بدا يغزو ملامحها ترقبًا لخبر رهيب:

- ماذا تعنين بقولك أن كل ما سمعته كان كذبًا؟

تنهدت أميرة وانطلقت تروى لسالى كل ماحدث منذ البداية والاتفاق الذى تم بينها وبين محمود السكرى مدير تحرير الجريدة الشهيرة التي كان والد سالى رئيس تحريرها والتي كانت أميرة متدربة بها, وكيف اتفق معها على خطة التفرقة بينها وبين الدكتور أحمد الصاوى فقط لتكون سالى من نصيب محمود انتهاء بمحاولة قتل أميرة بعد مساومتها له، استمعت سالى لهذا الكم من المفاجآت وهى تترنح من الصدمة وترتجف من الخوف وينعقد لسانها من الذهول وعدم التصديق.. هل من الممكن أن تكون خدعت طوال هذا الوقت؟ هل فقدت حبيبها لكى تتزوج هذا الشيطان الآدمى المدعو محمود السكرى؟ لقد سمعت عنه حكايات بشعة ولكن هذا الذى ترويه أميرة يفوق الخيال.. ولكن لماذا سكتت أميرة كل هذه السنوات ؟

قفز السؤال من عقلها للسانها دون مقدمات وهى تتمنى في نفسها أن تكون أميرة كاذبة وتتمنى أكثر أن تكون صادقة:

- ماالذى يضمن لى أنك لاتكذبين للوقيعة بينى وبين زوجى؟.. مادليلك أنك صادقة ولماذا ظللت صامتة خمس سنوات كاملة واختفيت ثم عدت الآن لتتحدثي؟

وكان أميرة كانت تنتظر السؤال وتتوقعه فأجابتها بسرعة:

- بالنسبة لاختفائى فأنا كما قلت لك تعرضت لمحاولة قتل وأنا فتاة وحيدة ليس لى من يحمينى فأمر طبيعى أن أترك القاهرة كلها هربًا ممن يحاول قتلى خاصة وأن....

قاطعتها سالى ومازالت أبعاد الصورة لم تتضح أمامها بعد:

- ولماذا تجزمين أن من حاول قتلك بتحريض من محمود زوجى؟

كانت سالى تسأل أسئلة سريعة تريد إرباك أميرة لمعرفة هل هي صادقة أم لا, لكن أميرة كانت مستعدة جيدًا متوقعة لكل سؤال وتجيب بثقة تجبر من أمامها على التصديق لذا أجابتها بهدوء واثق:

- لأن زوجك هو الوحيد صاحب المصلحة في قتلى, ولأنه هددنى بذلك صراحة في آخر لقاء بيننا ولأننى بالفعل كنت أنوى فضحه لو لم يعطنى المال

زاغت عينا سالى وترنحت وهى تسأل أميرة بنصف عقل ونصف أذن:

- وأين كنت خلال السنوات الماضية ؟

- عند عمى في الصعيد ..سوهاج

- ولماذا عدت لتحكى كل ذلك الآن؟

-الانتقام بالطبع ولا سبب آخر

وكان السؤال الأخير الذى ألقته سالى قبل أن تنهار القلعة

فوق رأسها وتخسر المعركة ، وتخسر زوجها كما خسرت الدكتورأحمد قبله فاندفعت في محاولة أخيرة للتشبث بأى شيء قبل أن ينهار عقلها من الصدمات وقالت لها:

- أنت كاذبة وكل ماتدعينه أكاذيب بلا أى دليل.. مادليلك؟

ابتسمت أميرة وأخرجت هاتفها محمولاً يبدو عليه القدم كانت تحتفظ به مغلقا بعيدًا عن أعين زوجها أو عمها أو أى إنسان .. تحتفظ به فقط كدليل إدانة ونزعت منه الشريحة لكى لايفطن لوجوده أحد، أعادت تشغيله وطلبت من سالى الاستماع ..وانهال سيل من المكالمات المسجلة بين محمود وأميرة تحمل اعترافًا واضحًا على تورطه في الأمر وهو يطلب منها أن تنفذ تفاصيل الخطة، وتسجيلات أخرى لمقابلاتهما معًا التقطتها له دون علمه ..وبدأت الحقيقة تتضح أمام سالى بشعة سوداء حادة الأطراف.. بدأ الكابوس يأخذ أبعادًا مادية تخنق أنفاسها, وصدمت سالى لهول ما سمعت وصدقت أذنيها وكذبت قلبها, ثم صدقت قلبها وكذبت أذنيها ثم كذبتهما معًا وصدقت ما سمعته من زوجها من قبل, ثم امتدت يدها تغلق فيض الأصوات الذى ينساب كسيل ملتهب ..سيل من النار يحرق مشاعرها ويمزق قلبها.. أغلقته كى يكف قلبها عن الخفقان ويكف عقلها عن الدوران في جمجمتها ..كانت تريد أن تلتقط أنفاسها وتلملم شتاتها

وهنا شعرت أميرة أن مهمتها انتهت ويجب عليها الانصراف بعدما كشفت السر لسالى, قررت أن ترحل بعدما حطمت قلبها للمرة الثانية

- والآن أستأذن ياسالى هانم بعدما أديت واجبى وأرجو منك أن تسامحينى على مافات ..أما أنا فسأعود للحياة في سوهاج مرة أخرى.

- قبل أن ترحلى أريد منك خدمة .

وطلبت منها طلبين كلاهما أعجب من الآخر، طلبت منها عنوان الشقه ومفتاحها .. وقبل أن تتعجب أميرة أوضحت لها سالى أن شقتها لن يمسها سوء وستتخلص من المفتاح ولكنها بذلك ستساعدها على اتخاذ قرار هام.. فقط عليها أن تمنحها ثقتها وشعرت أميرة بغريزة الأنثى أن هذا القرار له علاقة بالانتقام ..فوافقت

وبعد انصرافها قررت سالى -لأول مرة في حياتها - أن تنتقم ..وبطريقتها الخاصة ..ستلهب قلبه بنار الغيرة والغضب والشك ..هو لايعلم أنها قابلت أميرة بل لايعلم أن أميرة مازالت حية أصلًا ولكنه سيعلم أنها قابلت الدكتور أحمد, وهكذا يتشتت عقله ويغار ويلتهب نارًا لعله يطفئ نارها ..واشتعلت كلمة الانتقام في نفسها.. وتأججت

*****

عاد محمود إلى منزله مرهقًا تكاد الأفكار تغلى في رأسه فتسيل على الأسفلت, لم يصل لسبب مقنع مريح.. بل لم يجد رابطًا لهذه الألغاز المتشابكة وفشل فى إيجاد تفسير لما يحدث ..لنظراتها التى أصبحت تمتلئ خبثًا ولحديثها المبهم غير واضح المعالم ولكل هذا العبث ..لتلك الرقة المصطنعة فى تعاملها معه ..وعندما أدار المفتاح فى ثقب الباب سمع همسها فى التليفون فارتبكت عند دخوله ورآها تغلق التليفون وسمعها تقول فى صوت خفيض وسرعة خاطفة «سألقاكَ قريبًا» ..نعم كانت تقول سألقاكَ قريبَا فمن هو الذى ستلقاه قريبًا ؟ ولماذا تحدثه بهذا الهمس وكانها تخفى سرًا أو أمرًا مشينًا ؟.. لعله لايكون الدكتور أحمد ...نعم ومن غيره؟ ..عاد للظهور فى حياتها مرة أخرى وقابلها فى النادى ولعله قابلها مرة أخرى او مرات والآن يتصل بها ويريد أن يعيد الماضى مرة أخرى

يريد بناء ما تهدم ويتشبث بآخر خيوط الحلم الذى مزقه هو بنفسه تمزيقا ولكن هيهات ..إنه مستعد أن يقتله مثلما قتل أميرة ومثلما هو مستعد أن يقضى على أى كائن يقف فى طريقه، سيقتله مثلما استطاع أن يقتل ما بينهما فيما مضى ..دلف إلى منزله محمر الوجه وسألها:

- مع من تتحدثين؟

-إنها ليلى زميلتى فى النادى.. كنت أقول لها أنى سألقاها قريبًا

ابتسم بسخرية شرسة :

- ليلى.. أنت قلت سأراكِ قريبًا.. كنت تكلمين رجلا

انتفضت فى غضبة مصطنعة أجادت أداءها:

- محمود هل جننت ؟..هل تشك فىّ ؟

وكانت صيحتها إشارة خطر دوّت فى أعماقه.. لقد بدأ يغضب والغضب لو تملكه سيفقده تركيزه وحسن تصرفه ..وربما أفقده كل شئ قبل أن يمسك به, لابد له أن يصبر حتى يعرف كل شئ وحتى لايأخذان حذرهما ويعلمان أنه يعلم, قرر أن يصبر حتى تتضح الصورة كاملة وساعتها لن يتردد فى قتلهما معا.. وهكذا خلع قناع الغضب وارتدى قناع الزوج المحب بسرعة فائقة.. وبنبرة شبه هادئة اعتذر لها بلطف يجيد اصطناعه مؤكدا لها أنه يغارعليها فقط, ثم احتواها بين ذراعيه وانسدل شلال الذهب فاغرق كتفه بجدائل عطرية ناعمة, وألقت برأسها على كتفه وقد اتسعت البسمة فى أعماقها لأنها تعلم أنه يكذب, هو فقط لايعلم أنها تعلم كما لايعلم أنها تعمدت كل ذلك لتحرقه بنار الشك والغيرة.. كانت تشعر بزهو نجاحها لقد بذرت بذرة الشك فى روحه وهاهى تكبر لتصبح شجرة كبيرة امتدت أفرعها حتى خرجت من أذنيه وتدلت ثمارها من عينيه ..نعم ستتركه يتعذب بالشك والغيرة.. ستقتله ببطء ..ستنتقم منه بطريقة الأنثى ..وويل له من انتقام الأنثى.

جلس محمود شاردًا على مكتبه حتى أنه لم يلحظ القهوة التي وضعها (عم سعيد) أمامه فتنحنح الفراش في حرج:

- القهوه يا سعادة البيه

نظر إليه بشرود وقال من بين أسنانه:

- شكرًا يا عم سعيد.. ارسل لي في طلب (علي) فورًا

صمت الفراش العجوز قليلا ثم بلهجة من اعتاد شرود (البهوات) قال له

-حاضر يا بيه

كان علي صحفيًا نابهًا يعده محمود السكري تلميذه ويذكره بشبابه وطموحه وانطلاقه، أجلسه أمامه و في بطء متعمد قال:

-هل لك أنت تسدي لي خدمة يا علي؟

رد الشاب بحماس صادق:

-عيونى يا محمود بيه

تمهل محمود قليلًا ثم قال بنبرة حذرة:

- أريدك أن تسير خلف المدام

-افندم!!

أخذ محمود نفسًا عميقًا ليسيطر على أعصابه ثم بعبارات انتقى كلماتها جيدًا شرح لعلي مايريد:

- أعلم أنك لن تسيئ فهمى ولكن سالى هانم تتعرض لمضايقات من أحدهم وأنا أريدك أن تتحرك خلفها - بدون أن تلاحظ هى ذلك - لتطمئن عليها ثم تطمئني ..أنا طبعًا لم أبلغ الشرطة خوفًا من الفضائح كما تعلم, ولكنك أمين على السر وأنا أثق فيك تمامًا.. ستكون مهمتك منذ اللحظه أن تنفذ ما طلبته ولك مكافأه كبيرة فى نهاية مهمتك.

انتعش علي لفيض الأسرار الذي يسكبه الأستاذ محمود رئيسه في العمل بل رئيس كل هذا المبنى وكل العاملين فيه، لقد طلب منه أن يتتبع الهانم في كل مكان دون أن

تراه ولم يكلفه بأي تحقيق أو أية أخبار صحفية طوال مدة المهمة.. أما عن التخفي فهو بارع في هذا المجال, يستطيع أن يحلق لحيته ويغير ملابسه بالمال الذي أعطاه له الأستاذ.. سيصبغ شعره إذا لزم الأمر ويلبس نظارة خصوصًا وأن الهانم تعرف شكله أو هذا ما يظنه.. وبدأ المهمة

*****

شرب محمود السكري ثلاثه أكواب من الشاي وهو يجلس بتوتر في صالة شقته بالمعادى فى انتظار على حتى جاء من الخارج أخيرًا

فتلقاه بلهفة محمومة:

- ماذا وراءك؟

وحكى له على تفاصيل يومه ولكنه لم يظفر منه بشيء جديد, نفس ما تفعله في كل يوم ولا جديد في ما قال ..هذه حياتها المعتادة.. وسأله:

- هل ذهبت خلفها للنادي؟

أجاب على بسرعة:

- نعم يا محمود بيه ذهبت

فكر محمود قليلًا ثم قال بحذر:

- وهل قابلت أحدًا

ولم يكن على يعلم سر تلك الأسئلة ولكنه أجاب بأمانة:

- لا.. لم تلتقِ بأحد سوى سيدة تدعى ليلى هانم

ردد محمود الاسم في عقله مرارًا.. إنه يعرفها ليلى هانم صديقتها حقًا، ولكنه سمعها تقول سألقاكَ كانت تحدث رجلا فمن هو؟ مَن ؟..

ولما وجد على يحدق فيه باهتمام صرفه قائلًا في لهجة محذرة:

-استمر في مهمتك بنفس الطريقه وإياك أن تلحظ الهانم شيئًا

- حاضر يا محمود بيه لا تقلق

ومرت الأيام ومحمود يأكل نفسه ويكاد يشتعل شكًا وغيرة وقلقًا.. على يؤكد له أنها لا تقابل أحدًا وعلى الرغم من ذلك يسمعها دائمًا تهمس في التليفون بصيغه المذكر.. فما الذى يعنيه ذلك؟..ولم يصل لجواب ..

*****

أحرق نفسك يا محمود فلن تصل لشئ ولن تعرف الحقيقة إلا في النهاية.. حين يكون معرفة الحقيقة مساويًا للجهل بها

*****

يالسذاجتك يا محمود! تعتقد أنك أذكى الأذكياء, هذه الأفعال الصبيانية الجديرة بأطفال الشوارع لاتصلح معى على الإطلاق.. لعبة (عسكر وحرامية) التي كنت تلعبها في أزقة حيكم الشعبى صغيرًا ودور المخبر الذى يتجسس على الناس ليرى أين يخبىء اللص بضاعته، هذا الجو الرخيص لا يوجد إلا في أفلام السينما فقط ..إن موظفك الأبله صغير السن قليل الخبرة لايعلم شيئا عن حياة النساء، فأى امرأة في العالم تملك حاسة سادسة مثل القطط حين تشعر بالخطر وبالتاكيد سوف تشعر بمن يقترب منها أكثر من اللازم ويسير وراءها في أكثر من مكان، يتكرر وجهه القبيح في كل مشاهدها وخاصة إذا كان هذا المخبر الفاشل موظفًا معروفا في مكتبك ..وأنا رأيته مرارًا وتعرفته رغم التنكر السخيف الذى قام به وهو يتقمص دور(جيمس بوند) ..أضف إلى كل ذلك أننى لست أنثى فقط.. أنا صحفية أيها الأحمق ..وحسى الصحفى يجعلنى أرى مالا يرى سائر الناس، إن مخبرك الفاشل الذي أرسلته خلفي لايجيد التخفي لقد كشفت أمره بعد يومين فقط وانهار تمامًا واعترف بكل شيء بعد ما هددته بأنني سأتسبب في طرده من العمل وربما أدخلته السجن كذلك، ولازلت أذكر عباراته الباكية وهو

يعترف بأنك من حرضته ويطلب منى ألا أضيع مستقبله فاشترطت عليه إذا كنت سأعفو عنه بضعة شروط وقبلها على الفور..اشترطت عليه أن يخبرك بما أقوله له أنا بالضبط، ليس هذا فحسب بل ويحكى لى كل ماتقوله وتفعله أمامه أيضًا.. وحكى لى عن شقتك في المعادى والتي تدير فيها صفقاتك المشبوهة ومقابلاتك المريبة والتى كنت تظن أننى لا أعلم بشأنها وأنها ستظل سرًا، كم أنت ساذج يامحمود! لقد تلقيت هديتك وأعدتها إليك مع خالص تحياتي.. حسنًا يامحمود لنر من سيربح فى النهاية ..حسنًا

*****

- سالى قابلت رجلًا؟!

قالها محمود لعلى بغضب حاول أن يخفيه ولم يستطع، فرد الأخير والتوتر يخنقه خوفًا من افتضاح أمره :

- نعم يا محمود بيه.. رجل يرتدي بذله ممتلئ الوجه قليلًا وكانت تقول له أهلا يا دكتور

كان على يقصّ بالضبط ما أخبرته به سالى فازرق وجه محمود ثم أبيض ثم أسود ..ثم تذكر.. إنه هو.. علي وصفه بدقة.. إذا فهي تقابله... فلماذا تقابله؟.. لقد قالت أنها قابلته فلماذا قالت ؟ والآن تخفى فلماذا تخفى؟ ...لماذا؟

قال على وهو يريد أن يهرب من المكان قبل أن ينكشف:

- أي أوامر أخرى يا محمود بيه؟

سمعه محمود شاردًا فقال بهدوء غريب:

- نعم.. استمر فى مهمتك إلى أن أبلغك بالجديد, ومنذ هذه اللحظة لاتتبع الهانم لأي مكان غير النادي فقط ..هل تفهم؟

فرح على لأنه سيهرب أخيرًا فقال وهو يكاد يطير:

- افهم يا بيه

وتمر الأيام وتتوالى الاعترافات الملفقة على لسان على ومحمود يزداد اشتعالًا.. حتى أخبره ذات يوم أنها خرجت معه لمكان مجهول

فاشتعلت براكين الغضب في نفس محمود وهو يكاد يعصف بعلى عصفًا:

- لماذا لم تذهب خلفها يا غبي؟

ردد الشاب بخوف حقيقى:

- لأنك أمرتني أن أتبعها للنادى فقط يا بيه

تذكر أنه أمره بذلك فعلًا فلام نفسه أشد اللوم ولكنه نفض كل ذلك كعادته وقال له بحده آمرة:

- بل تتبعها حتى توصلها للبيت أفهمت؟

سمعه على وهو يلعن ذلك اليوم الذى أوقعه بين هؤلاء المجانين ولم يملك إلا أن يقول خائفًا:

- نعم فهمت يا محمود بيه

« إذن فأنت تقابلين حبيبك القديم يا سالى هانم.. تريدين أن تستعيدى ذكريات الماضي ..هيهات ..لن تعيشا لتنعما بتلك الخيانة، لن تعيشا لتشهدا انتصاركما على محمود السكري أبدًا ..سأكون البادئ ولسوف أضحك في الختام»

*****

«هل اشتعلت يا محمود؟ هل احترقت بنار الغيرة والشك أم أن قلبك القاسي لا تؤثرالناربه ..ولكن صبرًا فقد اقتربت نهايتك أيها القاتل»

*****

رنّ الهاتف فجأه فالتقطه محمود وتعجب لأن المتكلم كان على، لم يكن على يطلبه في التليفون بل كان يعطيه التقرير اليومي في تلك الشقة التي استأجرها محمود في حي المعادي ولم تكن زوجته تعلم عنها شيئًا - أو هكذا كان يظن - كم دبر فيها من مخططات شيطانية وكم

أدار من صفقات مشبوهة، لذا فعندما رد عليه و سمع منه عرف السبب وراء ذلك الاتصال في الهاتف.. لقد سمعها على وهى تقول إنها ستلقاه في نفس المكان ..لقد قالت «سألقاك فى نفس المكان يا حبيبي»

هذه الجملة.. نفس الجملة الغامضة المحيرة، ترى ما المقصود بنفس المكان؟ ترجم حيرته لسؤال لم ينتظر إجابته:

- وما هو نفس المكان هذا ؟

جاءته الإجابة كما توقعها:

- لا أعلم يا محمود بيه

«هكذا إذن.. تتقابلان في مكان ما.. لقد اقتربت ساعتكما وسوف تموتان اليوم.. اليوم..»

ركب سيارته وانطلق في الطريق مسرعًا بجنون حتى كاد يصطدم بخمسة سيارات ويدهس أكثر من ثلاثة أشخاص في قيادته المتهورة.. سائر بلاعقل وقائد بلاعيون ..أعمى الغضب عيونه وأحرق الشك قلبه وألهبت الغيرة أعصابه فقرر أن ينتقم وليكونن انتقامه بشعًا ..وأخيرًا وصل لفيلته في الزمالك

فتح الباب فوجدها ترتدي ملابسها ولم تنسى أن تقول له أنها خارجه لمقابله صديقتها

سألها ساخرًا:

- صديقتك من؟!

ردت بلهجة حاولت قدر الإمكان أن تجعلها هادئة طبيعية :

- ليلى طبعًا وهل لى صديقة غيرها ؟

سألها متظاهرًا بالعبث بميدالية فيها مفتاح السيارة :

- وأين ستقابلينها ؟

أجابت في حذر أرادت أن تصبغه بالشك وهى تكتم فرحتها لأنه التقط الطعم والخطة تسير كما قدرت لها تمامًا :

- في شقتها ولكن لماذا تسأل؟

أجاب بسرعة كى يزيل الشك من نفسها فهو لايريد لأى انفعال تافه أن يفسد خطته للإيقاع بهما :
- لا شيء.. أريد أن أطمئن عليك
أعطته قبلة سريعة ثم إلى الخارج تهادت فالتفت إلى غرفة مكتبه المفتوحة ودخلها ورأته يضع المسدس في جيبه فتظاهرت بأنها لم تلحظ شيئا، وأدارت سيارتها وقادتها في اتجاه المكان الموعود الذى سيشهد المشهد الختامي من فصول الرواية المأساوية ..لقد أوشك محمود السكري أن ينتهي تمامًا

*****

القطار يرتج ببطء على القضبان ومعه تطفو أميرة وترتفع في موجات لانهائية تتشابه مع الدوامة التي تعيش فيها، دوامة لا تدرى أهى حزن أم فرحة ؟.. شماتة أم ندم ؟.. سخرية أم انتقام ؟.. أم أنها كل هذا معًا ؟.

انطلق القطار مغادرًا محطة القاهرة متجهًا للصعيد بعد أدت مهمتها وإن كانت لم تحدد شعورها بعد اتمامها، ترددت كثيرًا قبل أن تفعل مافعلته، وكانت قد طلبت من زوجها السفر معها إلى القاهرة كى تحضر بعض المستلزمات الخاصة بها من شقتها, وطلبت إذنه لزيارة إحدى صديقاتها من أيام الجامعة ليتسنى لها الذهاب إلى سالى, ثم طلبت منه أن يذهب للمحطة لشراء تذاكر العودة إلى سوهاج بينما تنهى هي ما جاءت من أجله واتفقت معه على أن تلحق به بعد ذلك على المحطة, ومن خلال مجموعة من الاتصالات بصديقات قدامى سألت عن سالى ولم يكن صعبًا أن تعرف أنّ سالى أصبحت مدير تحرير مجلة شهيرة عنوانها معروف، هكذا هى.. دائمًا ما تسبقها شهرتها .. وتوجهت لها وحكت كل شيء، وشعرت أنها ارتاحت وأرضت ضميرها، وإن كان الصوت داخلها يلومها لأنها ستهدم عشّا لزوجين متحابين، ولكنها قالت لنفسها إن هذا العش مبنى

على جريمة.. مبنى على الخداع والكذب، ومحمود السكرى هذا لا يصلح زوجًا بل لا يصلح أن يكون إنسانًا ..وتركت مكتب سالى وهى تشعر بألم الخنجر الذى طعنتها به ولكنه خنجر ضرورى، مر كالدواء الذى لابد منه برغم ألمه، وهاهى الآن عائدة مع زوجها إلى بيتها في سوهاج.. أم أنه بيت زوجها ؟.. لا ..إنه بيتها فلأول مرة تشعر أميرة بالانتماء لمكان ما..لأول مرة تنتمى لشخص وعائلة .. تشعر أنها جزء من شيء، وفى داخلها قررت أن تبدأ حياة جديدة مختلفة، حياة من أجل زوجها فقط..حياة بلا انتقام ولا خداع ..بلا سالى ولامحمود.. حياة بلا ألم.. وتنهدت في ارتياح ومازال صوت القطار في أذنيها يعدها بمزيد من الراحة ومزيد من الاستقرار..ومزيد من الأمل

*****

قررت سالى الانتقام وأعدت له خطة محكمة وضعتها أنثى ..وأنثى ذكية ..تتمتع بطيب القلب نعم ولكنها تستطيع أن تنتقم كذلك ..بدأتها بنفس أسلوبه بجمع المعلومات ..إن لها طرقها المبتكرة فى البحث عن المعلومات ..وبدأت سلسلة من الاتصالات بمعارفها في كل مكان، اتصالات تتسم بالسرية عن بعض الأسماء المشهورة للقتلة المأجورين في المناطق المعروفة بتلك النشاطات.. توغلت في العالم السفلي للجريمة حتى توصلت إليه .....شَكَل

الدروب المظلمة حيث يترنح السكارى والمدمنون ثم يسقطون على الأرض، غيوم الدخان والسعال المتقطع والآخر المتواصل ..منطقة خارج نطاق الخريطة.. هل تذكرها؟ وشخص واحد يسيطر على عالم الجريمة أو إذا شئنا الدقة عالم القتل بمقابل لأن الجريمة أنواع وكلها تجتمع فى هذا الحى المنكوب.. شخص اسمه شكل.. هل تذكر شَكل؟

جلس شكل على المقهى وهو يشد أنفاس (الشيشة) وقد وضع بها (شيئًا ما) وفى فمه وضع (شيئًا ما) آخر كان يخلط (الأشياء) بمزيج غريب ثم يتناولها معا.. بجواره يقف (شلاطة) ..هل تذكره ؟..يهمس فى أذنه :

- إحداهن تسأل عنك

انتبهت حواس شكل بنظرة شهوانية خبيثة:

- هل هى جميلة؟

عضّ الطفل الوقح على شفته السفلى فانفجر شكل ضاحكًا وسأله:

- أين هى؟

أعطاه الطفل ورقة بها عنوان بأحد أندية المناطق الراقية ومعه موعد..

- قلّب شكل فى الورقة التى لاتحتوى على شئ غير العنوان والموعد بلا أسماء وكاد يرفض لولا أن سلمه شلاطة مظروفًا منتفخًا نزعه منه بلهفة فوجد مالًا.. مالًا كثيرًا أسال لعابه وهو يسأل الصبى :

- ومن هذه السيدة.. أين هى وما اسمها؟

رد الصبى بحيرة :

- لا أعرف يا (معلم) هذه الورقة أعطاها لى شخص ما يلبس بذلة وقال لى أعطيها لك مع الظرف، وأبلغك أن (الهانم) تنتظرك فى الموعد المكتوب وعندما تأتى ستعطيك أكثر.. ولما سألته عن اسم (الهانم) رفض الإفصاح عن اسمها..

لم يقل له بالطبع أنه حاول أن يسرق المظروف ويستولى عليه لنفسه لولا أنه خاف أن يعلم شكل فينهى حياته بأطراف أصابعه، أما شَكَل فانطلق يعمل عقله ..ترى من تكون هذه الهانم التى تدفع بهذا السخاء ؟ ولماذا تصر على أن تقابله فى هذا المكان (النظيف) الذى لم يعتد أن يذهب إليه، إنه يشعر بالراحة أكثر فى بيئته المتسخة وفيها يشعر بالاطمئنان

ولكن ليبحث فى ملابسه عن أى زيّ يصلح سيمشط شعره.. ربما حلقه كذلك ..يحاول أن يبدو نظيفًا ليذهب للقاء الهانم فى الموعد المكتوب فى الورقة وفى نفس العنوان، فكرأن يستولى على المبلغ الذى جاءه بلامقابل غنيمة باردة ولكن إغراء كسب المزيد من المال ومقابلة الهانم كان أقوى منه ..

ولم تكن سالى بطبيعة الحال تشعر بالارتياح في هذه الجلسة المشبوهة والحديث مع قاتل مثله ولكنها مضطرة، فهي تريد أن تعرف.. أخبرته أنها زوجة محمود بيه ورأته ينتفض لدى سماع الاسم ورفض الحديث بل وكاد ينصرف ولكنها استبقته بسحر أوراق المال، وبدأت عقدة لسانه تنفك فاعترف لها بأن زوجها أمره بقتل فتاة تدعي أميره وذكر لها العنوان بالتفصيل فتأكدت من صدق رواية أميرة ثم أخرجت المزيد من المال وعرفت منه المزيد من الأسرار، إنها لم تكن جريمة القتل والتحريض على القتل الوحيدة التى يطلبها منه محمود فقد كان شكل قاتلًا محترفًا مأجورًا ..كان قاتلًا بالفطرة.. وكنوع من الاختبار سألته أين يقابل محمود فأخبرها بموضوع شقة المعادى وهنا تأكدت من صدق روايته فوضعت أمامه إغراء المال وأعطته أكثر مما يحلم به أى قاتل في تاريخ الجريمة ووعدته بالمزيد..

- مقابل ماذا يا هانم؟

- لاتظن أنني سأطلب منك أن تقتل أحدًا ..أنا فقط أريد منك أن تقابلني في شقه ما

تبسم في خبث ملهوف وهو يحملق فى فتنتها البيضاء وشعرها الذهبى وعيناها الخضراوان وقد أسكره عطرها:

- حقا ياهانم.. أين؟

أجابته بابتسامة مصطنعة وضعت فيها كل ما تعلمته من دلال طوال حياتها :

-هل تذكر الشقة التى قتلت صاحبتها قبل ذلك؟ هل تذكرها؟

أجاب القاتل بأنفاس متهدجة وهو لايصدق نفسه :

- نعم أذكرها

مالت نحوه حتى غرق في الجنة الخضراء تحت رموشها وأكملت وعيناها تعدانه بأكثر مما يطيق :

- سيكون اللقاء في السابعة مساءً

بصوت لايعى أحرفه أجابها :

- حاضر يا هانم

جندت كل فتنتها للتأثير عليه وإلغاء عقله تمامًا :

- ولكى لا يتعرفك أحد سأعطيك شيئًا تلبسه

رد شكل بلاوعى :

- وما هو يا هانم ؟

أخرجت من حقيبتها قناعًا مطاطيًا كانت قد طلبت من إحدى صديقاتها والتي كانت تعمل في مجال الخدع السينمائية أن تصنعه لها بعد أن أعطتها صورة الدكتور أحمد الصاوى وطلبت منها قناعًا يشبه هذه الصورة بحيث يتحول من يلبسه إلى نسخة منه، ومدت يدها لشكل تعطيه القناع وهى تقول له في لهجة ناعمة :

- هذا قناع سترتديه لكي لا يتعرفك أحد فأنا أخاف عليك..اتفقنا

بعينين لاتريان سواها أجاب :

-حاضر ياهانم

وطلبت منه أيضًا أن يرتدي بذله سوداء ليبدو مثل الدكتور أحمد تمامًا، ثم أعطته مفتاح الشقة لكى يفتحها وينتظرها في الصالة، ولم تنس أن تؤكد عليه سرية الأمر فلا يتفوه به أمام أحد حتى لا يعرف زوجها محمود بما تم بينهما

ووعدته بأضعاف المبلغ الذى أعطته إياه إن حافظ على السرية المطلوبة ..إنها واثقة أنه لن يتحدث ثقتها في تأثيرها عليه وثقتها كذلك من خوفه أن يعرف محمود بهذه المقابلة، وهى لمست خوفه الشديد منه.. كما أنها تثق في حبه الشديد للمال وإغرائه.. لتلك الأسباب مجتمعة سينفذ ما تقول.. ولن يتكلم..

ولم يكن شكل مقتنعًا أو فاهمًا لفحوى الحديث ولا ماتطلبه منه، ولكنه أمام إغراء المال وإغراءها وافق وذهب في موعده، صحيح أنه شعر بالخوف الشديد من عواقب معرفته بسالى هانم ولكن رائحة المال- ورائحتها - أقوى من التردد ..ما دامت تدفع بهذا البذخ فلينفذ لها ما تطلب وليذهب كل شئ للجحيم، إن الصفقة رابحة بكل المقاييس فلم التردد؟ أخذ منها القناع الذى أعطته له.. سيبدو شكله مضحكًا بهذا القناع وهذه البذلة.. لبسهما وضحك كثيرًا وأخذ يتمايل فى زيه الجديد هازئًا كعادته.. ساخرًا كعادته.. يمنى نفسه بنعيم لقائها فى تلك الشقة التى وصفتها له، إنها معجبة به بكل تأكيد وإلا ما طلبت منه أن يلقاها فى هذا المكان بعيدًا عن العيون.. نعم هى أحبته لوسامته وقوته!!.. يسير إلى لقاءها ولم يكن يعلم ما الذى سيحدث لأنه لم ير للمستقبل ..وكيف له أن يراه ؟

*****

الفصل السابع

النهاية

- أحمد.. مارأيك لو عدنا للإمارات مرة أخرى؟

طرقت العبارة أذنى الدكتور أحمد فقطعت شروده لينظر لزوجته علا بتعجب :

- ولكننا نشعر بالاستقرار في مصر وقد عدت للعمل بكلية الإعلام وأنت معى ..وهذه الفيلا الجميلة التي نسكنها، فلماذا نترك كل هذا ونعود للاغتراب مرة أخرى؟

بلمحة من الضيق قالت له :

- لأننى علمت أنها تسكن قريبًا من هنا

كان يعرف ما تتحدث عنه بالضبط إلا أنه قال في لهجة ودود متسائلة بتجاهل أحنقها :

- من هي ؟

ردت بسخرية مريرة :

- سالى هانم

احتضنها الدكتور أحمد بدفءٍ وقد شعر أنها ليست على ما يرام :

- هل تغارين ياعلا ؟ أنت تعلمين أننى لا أرى سواك بل لا أتنفس إلا الهواء الذى تتنفسيه فكيف تغارين ؟

بحزن دفين قالت :

- ولكننى أعلم أنها حبك الأول وأنت قابلتها في النادى.. ويبدو أنها مست في أعماقك شيئًا كنت أظنك فقدته..

تعجب أحمد أنها عرفت بمقابلته لسالى، لايذكر أنه حدثها في هذا الشأن.. ولكنه لم ينكر بل ضمها إليه وهو يقول لها بحنان :

- أنا منذ رأيتك لم يعد بحياتى أحد آخر، لم يعد بقلبى متسع لأى أنثى إلا علا التي أسست معى بنيانًا هو مجدى الحالي

أنت حلمى الذى انتظرته منذ سنوات..سألته وقد بدأت حدة الحزن تخفت في نبراتها :

- وسالى؟

انتقى ألفاظه بدقة كى لايجرح شعورها فقال :

- نعم عشت مع سالى في حكاية رويتها لك ولكنها الآن لاتعنى لى شيئًا فلا داعى للحزن، أنا لن أكون إلا لك أنت فقط ولن أخونك حتى في خواطرى

سألته بلهجة جادة خرجت بها من موجة الحزن المؤقتة :

- ولكن ألم تسأل نفسك لماذا فعلت أميرة ما فعلته ومن الذى صوركما ؟

أجابها بحيرة :

- ومن أدرانى ؟ إن الذى صورنا ربما يكون طالبًا من طلابى في الكلية ويعرفنى جيدًا وأراد أن يستغل الفرصة , أو هو شخص ما يعرف أميرة ويريد أن يفضحها وينتقم منها.. من يدرى ؟

قالت علا بلهجة غير مقتنعة :

- لا.. إنك أنت المقصود بهذه الفضيحة لا هي

قال أحمد وهو لايصدق حديثها ولا يكذبه :

- ولكننى بلا أعداء.. فمن الذى يسعى لفضحى ولماذا ؟

قالت علا وقد تقمصتها روح وكيل نيابة ناجح :

- أنت بلا أعداء من قال ذلك ؟ لايوجد إنسان ناجح بلا أعداء، ليس شرطًا أن يكون العدو معروفًا لك.. إن أخطر الأعداء هو العدو الخفى المجهول الذى لم تلقه ولم تره مرة واحدة في عمرك كله ولكنه يكرهك لسبب لاتعرفه ويعرفه هو..

قال أحمد والحيرة تنهشه فقد ضغطت علا على جرح يؤلمه

منذ خمس سنوات..كم تساءل عن سبب كل ماحدث ولم يجد له جوابًا.. كم مزقته علامات الاستفهام الحادة التي تطعن قلبه بلاهوادة، سأل نفسه كثيرًا من الذى صوره يومها ولماذا؟ هو بلا أعداء فمن الذى يريد فضحه ؟ نقل السؤال بصورة آلية إلى لسانه وألقاه لزوجته :

- ومن الذى يريد أن يفضحنى وما الذى سيكسبه من وراء ذلك ؟

أجابته وقد بدأ الشغف الممزوج بنبرة حسرة يعود لصوتها :

- شخص يريد أن تعرف سالى بهذا الأمر فيفسد ما بينكما

انتقل الى السؤال الآخر بسرعة فائقة :

- ومن الذى يرغب في إفساد علاقتى مع سالى ؟

ردت بسرعة ذكية :

- شخص يهمه أن يتزوجها

فاجأهما الجواب الذى قفز إلى عقليهما مرة واحدة فقالا في صوت واحد :

- زوجها !!

فند أحمد هذا الرأى في عقله قليلا ثم قال محاولًا الخروج من الموضوع وإن كان مازال يفكر فيه بحيرة :

- المهم أننا معًا وأن هذه الحكاية انتهت تمامًا فدعينا منها الآن

كان يتحدث بشرود فلمست ذلك ولم تعقب وفى النهاية اتخذت قرارها:

- ألا تريد الرحيل من مصر للإمارات؟

نظر لها بحذر صامت فقالت :

- إذن ننتقل للحياة بالإسكندرية والعمل هناك.. ونترك هذه المنطقة بكل ذكرياتها.. نبدأ حياة جديدة..

وأمام رجاءها.. وافق

*****

توقفت بسيارتها بعيدًا وترجلت ، أنفاسها مضطربة وخفقان قلبها يكاد يصم أذنيها فلا تسمع صوت السيارات المارة ونباح كلب ما في مكان مجهول بدا صوته دخيلًا على المشهد وإن زاده غموضًا وتوترًا، إنها على بعد خطوات من تنفيذ انتقامها.. ستنتقم لنفسها من محمود الذى سلبها حبيبها واستولى على منصب أبيها وتزوج منها لا لشئ إلا الوصول لصفقاته الرابحة التي يعقدها على جثث الضحايا

*****

« أشعر عندما أنظر في عينيك أننى أغفو فى الجنة»

*****

ما أنت سوى شيطان آدمى ..كسرت قلبى ودمرت حياتى لذا فأنت تستحق ما سأفعله بك، لو كان الأمربيدى لقتلتك ولكننى أبدا لن أكون قاتلة مثلك إن ما أعده لك انتقامًا أقوى من القتل

*****

« محمود بيه طلب منى أفرق بينك وبين الدكتور أحمد»

*****

سأنتقم ..ليس لنفسى فحسب ولكن للدكتور أحمد الصاوى أيضًا.. أول من أحب قلبى.. حلم عمرى الذى لوثت أيها المجرم سمعته وشرفه تحقيقا لأغراضك الدنيئة

*****

«سالى ..لاتصدقى مايقال أنا مظلوم.. خُدعت ..أميرة خدعتنى»

*****

ستكون نهايتك على يدى أيها الشيطان، سأنتقم لكل ضحايا الغدر والخسة والوصولية والابتزاز، سأنتقم لأميرة التي أردت قتلها بعد أن استخدمتها في خطتك القذرة

كانت ترى محمود يسير خلفها بمسافة وتظاهرت بأنها لم تلحظه، ولمحت العمارة التي تتوسطها شقه أميرة وعلى السلالم كان شكل وصل إلى الشقة وفتحها بالمفتاح الذى أعطته إياه , جالس على كرسي في الصالة مثلما اتفقت معه

*****

« الموضوع انتهى يا دكتور حضرتك تقدر تتفضل»

*****

دعت الله أن يتمم الخطة بخير وإلا فهى معرضة للموت، وأخذت تتساءل في نفسها لماذا تأخر الشخص الآخر؟ أتراه نسى أم عطله شيء في الطريق ؟ لماذا لا تراه أين هو؟.. دفعت الباب نصف المفتوح وهى تترقب بخوف وضربات قلبها تكاد تتوقف، لحظات وسمعت صوت خطوات محمود يصعد على السلم كأنها صوت القدر يعزف على أوتار الخوف نغمة الموت، ورأى محمود ما أرادت له أن يراه.. رأى شكل في هيئة الدكتور أحمد بنفس وجهه الذى يعرفه وبنفس بذلته التي كان يرتديها.. رآها معها من فتحة باب الشقة وتركت لخياله أن يكمل الرواية، أخرج مسدسه فالتصقت بالحائط خوفًا وهى تتساءل لماذا تأخر؟.. لماذا؟ ..ودون تردد وبسرعة خارقة أسرع من تصور القاتل المحترف أطلق محمود النار، وانطلقت صرخاتها كأنها صدى يتجاوب مع صوت الرصاص ليعزف سيمفونية اسمها النهاية .. وسقط شكل صريعًا.. وقبل أن يطلق رصاصة أخرى نحوها كانت يدان قويتان تكبلانه من الخلف مع صوت انتظرته طويلًا:

- المقدم هانى عبد الله من مباحث القاهرة

أخيرا أتى.. كانت تخشى أن يتأخر أكثر من ذلك فتنتهى حياتها عند هذا الحد وهى التي جعلت منه حائط الصد الأخير

أكمل المقدم هانى حديثه الموجه لمحمود:
- لقد أتينا بناء على تحذيرات تليفونية من مجهولة عن وقوع جريمة قتل، والمتحدثة أدلت لنا بوصف تفصيلى وعنوان ..ولكن يبدو أننا وصلنا متأخرين..ثم بلهجة آمرة
- خذوه على (البوكس) وخذوها أيضًا بصفتها الشاهد الوحيد على جريمه القتل
جرّ الجنود محمود السكري إلى البوكس وهو ينظر إلى سالى نظرة تكاد تثقب جسدها، لايوجد مجهولون كُثر إنها هي التيٍ أبلغت الشرطة ، هي التي نصبت له الفخ لتجعل منه قاتلًا ولكن عزاءه أنه أحرق قلبها.. نظر لها بسخرية غاضبة وقال في لهجة متشفية :
- فعلتِها ياسالى ..أبلغت عنى لتدخلينى السجن.. لكنى قتلت عشيقَك ..هل تسمعينى ؟ قتلت أحمد الصاوى
لكن المقدم هانى قال له بلهجة جادة:
- معلوماتى تقول أن القتيل اسمه شكل مرتديًا قناع لا أدرى لماذا يرتديه
وهنا انفجرت سالى ضاحكة في شماتة..أما محمود فقال محاولًا الدفاع عن نفسه :
- أنا كنت في حالة دفاع عن الشرف ولن أقضى بالسجن إلا بضعة أشهر ولدى جيش من المحامين
قال المقدم هانى في هدوء ساخر:
- لا أعتقد ذلك.. فإن الدفاع عن الشرف يتطلب التلبس وهو ما لا يوجد في هذه الحالة للأسف..الموضوع صعب يا محمود بيه وعلى كل حال النيابة والمحكمة هي الى تقرر ذلك ولست أنا ..أنا مهمتى الضبط فقط
انهار محمود وأسقط في يده وهو يشعر أن آماله كلها تحطمت وحياته انهارت، محمود السكرى الذى دوخ الشرطة

لسنوات ولم يستطع أحد أن يثبت عليه شيئًا محمود الذى عرف أباطرة الإجرام في مصر ولم يترك شيئًا لم يتاجر فيه حتى بنى امبراطوريته العظمى دون أن يوجه له أصبع اتهام واحد.. فجأة ينهار كل ذلك ويضبط متلبسًا بجريمة قتل عمد وبتدبير امرأة ..كل ذلك على يد امرأة !.. أما سالى فتركت الجنود يقودونها خلفه وقد زادت ابتسامتها اتساعًا لتشمل وجهها كله، فقد كانت أعدت سيناريو ذكى حول سبب تواجدها في مسرحٍ الجريمة ومدى علاقتها بالقتيل..ستقول أنها تلقت اتصالًا ممن يقول أنه الدكتور أحمد الصاوى أستاذها القديم بالجامعة ، والذى كان خارج البلاد وأنه يريد منها أن تأتى لهذا العنوان وأخبرها أن هذه شقته ويريد منها أن تتعر ف على زوجته، وبالفعل جاءت فوجدت الدكتور أحمد الصاوى بنفس هيئته التي تعرفها وفوجئت بزوجها يطلق عليه الناربلا سبب.. وأنها عرفت بعد ذلك من خلال المقدم هانى أن القتيل اسمه شكل وأنه مجرم معروف وتعتقد أن زوجها دبر معه هذه التمثيلية وجعله يتنكر لكى يتخلص منها وربما منهما معًا، وهكذا يكون محمود السكري خسر أكبر صفقه في حياته كلها ..وآخرها.. وتكون سالى نجحت في تنفيذ انتقامها وربحت الجولة الأخيرة في السباق..وإن كانت خسرت قلبها الذى تحطم هناك..

مع شظايا الحلم ...

*****

تمت بحمد الله